الفصل الثاني

المنظور الديني للصراع على الأرض
في فتاوى الحاخامات اليهود

obeikandl.com

obeikandl.com

المنظور الديني للصراع على الأرض

في فتاوى الحاخامات اليهود

يلعب الحاخامات(*) اليهود؛ كممثلين للديانة اليهودية بطابعها الكهنوتى المغلق، دوراً مهمًا ورئيسيًا في تشكيل الوعي الديني والسياسي داخل المجتمع الإسرائيلي، فالحاخامات اليهود في كل مكان داخل المجتمع الإسرائيلي. . في المحكمة الشرعية، وفى دور العبادة، وفى الجيش، وفى الكنيست، يرفضون ويقررون ما يشاءون.

وثمة نظرة عابرة تجاه دور الحاخامات داخل المجتمع الإسرائيلي، تكشف لنا عن مدى الرعب الذي يتأجج في قلوب اليهود من فتاوى هؤلاء الحاخامات التي تعد أمراً واجب التنفيذ دون أدنى مناقشة أو اعتراض، لاسيما وأن من أهم وصايا اليهودية (اتخذ لنفسك حاخامًا)؛ وهو الأمر الذي استغله الحاخامات ونجحوا في زيادة عدد اليهود المتدينين بضم عشرات اليهود المأزومين نفسيًا واجتماعيًا إلى معسكرهم الديني، علاوة على دعواهم بزيادة النسل، حتى وصل عدد بعض الأسر اليهودية المتدينة إلى عشرة أو ثلاثة عشر فردا.

ويمكن القول، إن الحاخامات اليهود المتطرفين أقاموا دولة داخل دولة ـ إن صح التعبير ـ وتغلغلوا في شتى هي الحياة وفرضوا كلمتهم، وعرضوا حياة المسئولين الإسرائيليين بما فيهم رئيس الوزراء للخطر. ومن هنا تبقى الفتاوى الخاصة بـ" أرض الميعاد" مسألة غاية في الخطورة، تشكل في النهاية إشكالية معقدة ومتشابكة من المنظور الديني للصراع، خاصة وقد اتخذ الحاخامات اليهود من فكرة "الوعد الإلهي " بالأرض ذريعة من أجل دفع الإسرائيليين نحو التمسك بهذه الأرض التي وعدهم بها الرب حسب ادعائهم، واتخذت فتاواهم منحنى خطر تجاه التعامل مع الفلسطينيين أصحاب هذه الأرض

(*) "حاخام" كلمة عبرية معناها "الرجل الحكيم أو العاقل" وكان هذا المصطلح يطلق على جماعة المعلمين الفريسيين "حاخاميم" ومنها أخذت كلمة حاخام لتدل على المفرد. أما كامة "راباى" فهي في عبرية التوراة بمعنى "عظيم" وهى من الجذر السامي "رب" بمعنى "سيد" أو "قيم على آخرين" مثلما نقول في العربية "رب البيت". ولكنها على أية حال لا ترد في التوراة نفسها. وتطور معنى الكلمة في العبرية المشناة، وأصبحت بمعنى "سيد" مقابل "عبد" ولكنها في كتابات معلمي المشناة "تنائيم" أصبحت لقبًا للحكماء، وكلمة "راباى" تعنى "سيدي" وينطقها السفاراد "ربى". ولما كان اللقب لا يخلع إلا على من تم ترسيمه حاخامًا (ولم يكن هذا إلا في فلسطين).

بكل قسوة وعنف. ولم تكن رائحة القتل والهدم والتخريب التي تنبعث من فتاواهم مصدر رعب أو خوف بالنسبة للآخر (الفلسطيني) بقدر ما تمثله من كابوس ومظهر من المظاهر الصارخة التي تجتاح المجتمع الإسرائيلي وتشكل في النهاية تصعيداً يكمن وراءه خلفية عقائدية عنصرية.

لقد شكلت فتاوى الحاخامات اليهود المتطرفين وجدان النفسية الإسرائيلية المتدينة، وتعاظمت، إلى أن تخطت حدود المعقول، حينما تحدثت عن إهدار الدماء، حتى لليهودي، في سبيل المحافظة على (الأرض المقدسة) معتمدين في ذلك على بعض النصوص المقدسة التي يأمر فيها الرب بقتل النساء والأطفال وتخريب المرتفعات، مثلما جاء في بعض النصوص التوراتية.

وقد دار سجال واسع بين الحاخامات اليهود في إسرائيل حول مفهوم "تقديس الأرض"، حيث طالب الحاخام "عوبديا يوسيف" الزعيم الروحي لحركة "شاس" بالانسحاب من الأراضي المحتلة لإنقاذ حياة اليهود عملاً بمفهومפיקוח נפש (بيكوح نيفش)، أي احترام حياة اليهود والمحافظة عليها، وقد أيده بعض الحاخامات في رأيه واقتبسوا من النصوص التوراتية ما يؤيد وجهة نظرهم: "أشهد عليكم اليوم السماء والأرض. قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك" (التثنية ٣٠: ١٩). وقد عارضه بعض الحاخامات المتطرفين، وجاءوا بنصوص من العهد القديم لتخدم رؤيتهم: "كلم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم" (العدد٥١: ٣٣ـ٥٢).

ونلاحظ هنا، أننا أمام موقفين، يتسم أحدهما بالتطرف والآخر بالاعتدال، وكلاهما وجدا في العهد القديم ما يخدم موقفهما. ورغم ذلك، فإن الأرض بالنسبة للحاخامات المتطرفين، هي المطلق، والحفاظ عليها يجب كل القيم الأخرى، ومنها حياة اليهود أنفسهم، وقد اقتنع الحاخام "عوبديا يوسيف" فيما بعد بهذا الموقف المتطرف وعدل عن موقفه وانضم إلى مبدأ "تقديس الأرض" والمحافظة عليها.

ومن هنا، تبقى فتاوى الحاخامات اليهود المتطرفين، من المنظور الديني للصراع، خطراً كبيراً على مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي من ناحية، والصراع الفلسطيني الإسرائيلي، من ناحية أخرى.

وثمة سؤال قد يطرح بشأن الحدود الفاصلة بين الحاخام المتطرف والحاخام المعتدل على المستويين الديني والسياسي . . وهو سؤال يمكن الإجابة عليه، إذا أدركنا أن التطرف نهج ديني يتسم بعلاقة وطيدة بين عقيدة المرء الأساسية وبين سلوكه السياسي الذي يسعى من خلاله تحقيق رؤيته الدينية التي يؤمن بها ولا يستطيع أن يساوم عليها. وهنا تبدو المعضلة الرئيسية بين السياسة وطبيعتها المتلونة والمتغيرة بتغير الظروف والأحداث، وبين الواقع الديني الذي يؤمن به المتطرف حين يمارس السياسة أو حتى حين يعلق عليها ويبدى رأيه فيها.

ومن هنا تكمن أيضًا خطورة التداخل بين الدين والسياسة في دولة مثل إسرائيل، لأن الأحزاب الدينية أو حتى الجماعات المتطرفة تبنى ممارستها السياسية على مقتضيات لا تقبل المساومة أو التسوية، وهو أمر يتعارض تمامًا مع طبيعة الممارسة السياسية ومع طبيعة الصراع العربي الإسرائيلي.

أما الاعتدال، فهو عكس كل ما سبق، فهو يأخذ من العقيدة الدينية ما يحافظ على حياة الإنسان ولا يدفع به نحو الهلاك، ويحاول أصحابه أن يحققوا التوازن بين الدين والسياسة؛ وهو ما يفعله حزب "ميماد" الديني في إسرائيل، والذي يعد رمانة الميزان بين القوى المختلفة في الحكومة الإسرائيلية.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن هذا البحث سوف يركز على تناول الفتاوى الصادرة عن الحاخامات اليهود المتطرفين، الذين ينتمون إلى المؤسسة الحاخامية الرسمية في إسرائيل، أو ممن ينتمون من حيث فتاواهم إلى رؤى اليمين الإسرائيلي المتطرف. . . وقد آثرنا أن تأتى بهذه الفتاوى المتطرفة والخاصة بالصراع على الأرض، بصرف النظر عن الانتماءات الحزبية أو السياسية لهؤلاء الحاخامات. فقد وجدنا أن فتاواهم لا تعبر دائمًا عن المبادئ العامة للحركة التي ينتمون إليها خاصة إذا كانت هذه المبادئ لا تتسم بالشدة في مسائل المفاوضات والصراع على الأرض، شأنهم في ذلك شأن الأحزاب الدينية التي تتلون سياساتها بطبيعة المرحلة السياسية التي تمر بها، أو بطبيعة المتطلبات التي تسعى الأحزاب الدينية لتأمينها حيث لا تدخر الحركات الدينية في إسرائيل جهدًا في تأمين الميزانية اللازمة لتمويل مؤسساتها التعليمية والاجتماعية المنتشرة في كافة المناطق، لذا فهي لا تتردد سياسيًا في الانضمام إلى أية حكومة توفر لها الميزانيات اللازمة للحفاظ على مؤسساتها المختلفة، وعلى الرغم من مشاركتها في المؤسسات السياسية الرسمية، إلا أنها تنطلق في مواقفها السياسية من أيديولوجيتها الدينية.

وعلى سبيل المثال، فقد صوت حزب "شاس" الديني ضد اقتراح قدم في الكنيست في الثامن والعشرين من مارس ٢٠٠٥ يقترح عمل استفتاء عام حول خطة "فك الارتباط" قبل الانسحاب من غزة، وذلك على الرغم من أن المبادئ الأساسية لحركة "شاس" تقر بضرورة عمل (استفتاء عام) قبل الانسحاب من أي جزء بالأراضي المحتلة.

كما أن هذا البحث، سوف يركز أيضًا على الفتاوى الخاصة بالحاخامات المتطرفين في إسرائيل ممن لا يرون حلاً للصراع على (الأرض المقدسة)، لاسيما وأن الأصوات المعتدلة في إسرائيل ليس لها من القوة التي تحدثها أصوات الحاخامات المتطرفة التي تقر بمبدأ تقديس الأرض، وترفض الحوار أو التفاوض، لاسيما وأن ميزان القوى دومًا في صالح الحاخامات المتطرفين الذين تؤثر فتاواهم وأقوالهم بكل قوة في وجدان الشخصية اليهودية الإسرائيلية المتدينة غالبًا والعلمانية أحيانًا، خاصة وأنها تحمل تحذيراً وتهديداً في آن واحد.

وهذا البحث، يحدد لنا تاريخيًا، علاقة الحاخامات اليهود بالصهيونية والدولة ومدى نفوذ الحاخامات داخل المجتمع الإسرائيلي، واستخدام فكرة "الوعد الإلهي" بالأرض؛ كمبرر لقتل (الآخر) الفلسطيني، في فتاوى الحاخامات اليهود، وموقف الحاخامات اليهود من الاتفاقيات المبرمة مع الفلسطينيين، وخاصة خطة "فك الارتباط".. في محاولة لاستقراء مدى ما يمكن أن تصل إليه حلول الصراع في ظل مثل هذه الفتاوى الحاخامية التي تحرم ما تشاء وتهدر دماء من تشاء، وتعطى الفرصة للمماطلة في حل الصراع على الأرض.

وبناء على ما سبق تم تقسيم محاور هذا البحث على النحو التالي:

أولاً: علاقة الصهيونية والدولة بالحاخامات اليهود:

نظر المؤرخون اليهود؛ منذ البداية للحركة الصهيونية، على أنها حركة قومية علمانية، على غرار الحركات القومية الأوروبية، التي نشأت في القرن التاسع عشر. ولكنهم كانوا يدركون تمامًا أن الأيديولوجية الصهيونية تفتقر إلى العديد من المقومات الأساسية للحركات القومية، مثل اللغة والأرض. ومن هنا صارت الأيديولوجية الصهيونية، إشكالية معقدة بالنسبة لبعض المؤرخين في كيفية تصنيفها بين سائر الأيدلوجيات، وتساءل الكثيرون، هل يمكن النظر إليها كأيديولوجية علمانية تختص بشئون اليهود فحسب وتحاول إخراجهم من مستنقع الدين واليهودية ؟ وهل يمكن ربط الصهيونية بالتاريخ العام لليهود وبتراثهم الديني

أيضًا ؟ وهل هناك ثمة تعارض ما بين هذه الأيدلوجية كحركة علمانية وبين الدين اليهودي متمثلاً في الحاخامات اليهود؟ .

إنها تساؤلات أثارت، في بداية الأمر، نوعًا من الارتباك بين المؤرخين، وذلك قبل أن تستقل الصهيونية قطار اليهودية وتتبنى كثيراً من الاتجاهات السياسية والدينية والثقافية على كافة الأصعدة، وباختلاف روادها تجاه مناحي التقدم نحو تحقيق الهدف في إقامة وطن لشتات اليهود.

ويبقى السؤل: "هل يمكن النظر للحركة الصهيونية، على أنها حركة قومية تعبر عن الواقع السياسي لليهود ومتأثرة بالحركات القومية الأوروبية، التي نشأت بينها أم أنها حركة دينية نابعة من الفكر اليهودي، ومستمدة لأفكارها ونظرياتها من التراث اليهودي ؟ "[1].

ولما كانت الجماعات اليهودية تشكل مجموعة من الأقليات الإثنية المتناثرة عبر التاريخ، فإن تصادمًا كان لابد من حدوثه، بين تلك الأيديولوجية كحركة علمانية وبين بعض الحاخامات اليهود آنذاك، ممن نظروا إلى هذه الأيديولوجية على أنها نوع من الزندقة والكفر، ورأوا أنها تعجل بنهاية اليهود، وأنها مخالفة لشريعة الرب.

أما البعض الآخر؛ فقد اعتبرها وسيلة أو آلة تمهد الأرض لقدوم المسيح المخلص، "فبعض اليهود يرفضون الصهيونية من منظور ديني، وهؤلاء ينقسمون بدورهم إلى قسمين: الأرثوذكس، الذين يعدون الحركة الصهيونية حركة علمانية، تجعل من اليهود أمة بالمعنى العرقي العلماني للكلمة، بما يتنافى مع تعاليم الدين اليهودي، التي تجعل اليهود شعبًا، بالمعنى الديني، ترتبط هويته بمدى تنفيذه للأوامر والنواهي. . ويرى الأرثوذكس أن الصهيونية حركة مسيحانية زائفة تتحدى الإرادة الإلهية، فيما يسقط الاصلاحيون الجانبين الإثنى والقومي ويجدون في الصهيونية دعوة إلى القبلية وضيق الأفق وحرفية التفسير "[2].

غير أنه لا يمكن إنكار حقيقة معارضة الحاخامات اليهود لهذه الحركة لسببين: الأول، أنها تعجل بنهاية اليهود، كما روج البعض، مخالفة بذلك فكرة الخلاص المسيحانى، بدعوى أن الإله هو المسئول الأول عن خلاص شعبه وهلاك أعداء اليهود، والثاني، لأنها

(١) د. محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الدين اليهودي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد (٤)، (ص ١٧).

(٢) د. عبد الوهاب المسيرى: يهود العالم، دليل إسرائيل العام، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٦(ص١٥٠).

قد تخرق اتفاقية الاختيار بين الشعب اليهودي والإله الذي اصطفاهم واختارهم لتبليغ رسالته إلى البشرية فهم شعبه، وهو إلههم فقط. . وهى علاقة تتسم في جوهرها بالصفات الأخلاقية، حسب الشريعة اليهودية، أي أنهم لابد وأن يتحروا الصفات الأخلاقية واعتبارها أساسًا في علاقتهم بالرب.

ولاعتبارات مثل هذه، كانت الحركة الصهيونية في نظر هؤلاء الحاخامات حركة علمانية تتدخل في أمور إلهية بحتة، وهى تخليص اليهود من الشتات، ومن ثم فمجاراتها هي مخالفة لشريعة الرب وخرق لاتفاق أخلاقي بين الرب واليهود.

وقد أدرك الزعيم الصهيوني، تيودور هرتسل، خصوصية هذه العلاقة، وإمكانية أن يشكل هؤلاء الحاخامات حجر عثرة، أمام تحقيق مبادئ الصهيونية العلمانية، وبدأ بمغازلة هؤلاء الحاخامات، "واستطاع بفضل مقولته الشهيرة- (الصهيونية هي العودة إلى اليهودية قبل العودة إلى دولة اليهود)- أن يحقق لنفسه مكانة داخل المعسكر المتدين الذي رحب برؤية الزعيم المندمج في غير اليهود، وهو يعود إلى شعبه ويمد ذراعه إلى الشريعة. . . ومع هذا، فلم يخاطب هرتسل اليهودية وفق المفهوم الروحاني أو الديني، بل كان يسعى إلى ما يمكن أن نسميه (اتفاق قومي)، أي الاستعداد للاعتراف بإطار قومي عام رغم الاختلافات في المعتقدات وفى الآراء"[(١)].

ويعلق شموئيل الموج، على مجهودات هرتسل في تقريب الحاخامات الصهيونيين إلى الصهيونية دون تسليمهم قيادة الحركة وعلاقته بهم، بقوله: "برزت هذه العلاقة بما حدث في المؤتمر الصهيوني الأول، حيث أقبل عدد من الحاخامات على هرتسل لسبر غوره، ولكنهم خرجوا من المقابلة مسرورين ومرتاحي البال. وعندما سئلوا عن سبب هذا السرور من جانبهم، قالوا بأن هرتسل أبلغهم أنه لا يعتزم مراعاة التقاليد اليهودية. لماذا إذن - هذا السرور؟ قالوا: إذا لم تكن لدى هرتسل الرغبة في مراعاة التقاليد اليهودية، فإن هذا يعنى أنه لا يريد أن ينظر إليه أحد على أنه (المسيح المخلص)، بل يريد أن ينظروا إليه على أساس أنه مجرد زعيم لحركة سياسية. وهدأت نفوس الحاخامات"[(٢)].

وفى حقيقة الأمر لم يكن موقف هرتسل تجاه الحاخامات اليهود موقف خوف أو

---

(١) د. انيتا شابيرا: الصهيونية الدينية -مدخل تاريخي، ترجمة د. محمد محمود أبو غدير، مركز الدراسات الشرقية، ج القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد (٣)، مارس ١٩٩٨، (ص٧١).
(٢) نفس المرجع، (ص٧٢).

ضعف بقدر ما كان حنكة سياسية، "حيث تلقفت الصهيونية السياسية الأفكار الدينية اليهودية ووجدت في مكوناتها أداة مهمة وفاعله لشحن وتعبئة قطاعات مؤثرة من اليهود المتدينين، خدمة لأهدافها السياسية، وتحقيقًا لمطامعها الاستراتيجية، فليس هناك ما هو أكثر تأثيراً في النفس المكلومة، ولا أشد وقعًا في الأرواح المعذبة والمهانة على مدى قرون وقرون من التلويح بالمهمة الملقاة على عاتقهم، وبفكرة(الخلاص) و(العودة) إلى أرض(اللبن والعسل) والبلاد الموعودة التي وهبها الرب لهم"[1].

وعلى الرغم من المواقف السلبية المعروفة، التي اتخذها القادة الصهاينة الكبار ابتداء من هرتسل وحتى بن جوريون، من الدين اليهودي والحاخامات اليهود، فهم لا يؤمنون به ولا بمضامينه العقائدية، إلا أنهم نجحوا في استغلاله أفضل استغلال وأدركوا أهمية وحيوية العنصر الديني الكامن في النفس اليهودية عبر سنوات طويلة من الشتات، واستطاعوا مخاطبة مشاعر اليهود ومداعبة أحاسيس الحاخامات.

فمن وجهة نظر بن جوريون، العقيدة اليهودية هي" التعبير القومي" الذي يمكن من خلاله أن تتطلع الجماعات اليهودية إلى تحقيق غاياتها القومية..

"إذن كان بن جوريون يرى أن الدين اليهودي وظيفة، عليه القيام بتأديتها وكفى، وهو ما عبر عنه بوضوح عندما قال: (إن الدين هو وسيلة مواصلات فقط، ولذلك يجب أن نبقى فيها بعض الوقت، لا كل الوقت). ولم يكن يرتاح للحاخامات، فكان يقول: (إن حياة اليهود لو تركت لحاخامات اليهود لظلوا حتى الآن كلابًا ضالة في كل مكان يضربهم الناس بالأقدام، ويحتمي اليهود من أقدام الأغلبية الساحقة لهم في كل مكان بأحلام العودة إلى أرض الميعاد والأجداد، وانتظار المسيح، الذي سيهبط عليهم من السماء لينقذهم ويقوم لهم بالعمل، بينما هم يصلون الفجر والعشاء، ويبكون ليلاً ونهاراً"[2].

وهكذا، فبعد أن رفض الحاخامات، في البداية، استخدام الدين اليهودي ضمن المبادئ الأساسية للحركة الصهيونية حل القبول محل الرفض، والتقت مصالح الجانبين بعدما اضطلع الحاخامات بدور فاعل داخل الحركة الصهيونية فيما عرف بالصهيونية الدينية،

(١) أحمد بهاء الدين شعبان: حاخامات وجنرالات، الدين والدولة في إسرائيل، نوارة للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٦، (ص٢٨).

(٢) د. رشاد عبد الله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد(١٨٦)، ١٩٩٤(ص٥٤).

وباتت النصوص المقرائية التي تتحدث عن الوعد الإلهي بالأرض ـ أرض فلسطين ـ والتي استخدمت في طليعة الشعارات الصهيونية، من أبرز الأمور التي ابتهج لها بعض الحاخامات اليهود واقتنعوا بها ورددوها بين مريديهم، وأكدوا على أن الفلسفة الصهيونية لا يمكن أن تقوم بمنأى عن الدين الموسوي الذي أصبح عماد الحركة الصهيونية العلمانية.

وقبيل قيام دولة إسرائيل دار خلاف شديد بين القيادات الصهيونية حول ماهية الدور الذي يمكن أن تلعبه القوى الدينية المختلفة بعد قيام الدولة، وبرز اتجاهان رئيسيان:

اتجاه يخشى من عواقب مشاركة الحاخامات في السلطة، ويرى في ذلك ارتداداً نحو الرجعية والتخلف والماضي السحيق الذي لابد والخلاص منه.

اتجاه يؤمن بدور ما للحركات الدينية وحاخاماتها، دور لا يقود المجتمع، ولكن يسهم في حشده خلف الأهداف الصهيونية وبرامجها. وكان بن جوريون من أنصار هذا الاتجاه.

وفى عام ١٩٤٧ أرسل بن جوريون خطاباً إلى حركة "أجودت يسرائيل" أوضح فيه، تعهد قيادة الحركة الصهيونية بمجموعة من الالتزامات تجاه مطالب الأحزاب الدينية وهو ما عرف باتفاقية "الوضع الراهن" **status que** [(١)] من أهمها:

١) تحديد يوم السبت باعتباره يوم راحة في قوانين الدولة.

٢) اعتراف الدولة بالقضاء الديني في الأحوال الشخصية وطبقًا للهالاخاه.

٣) الاعتراف بمنظومة التعليم الديني المستقل ذاتيًا.

٤) تشرع الدولة قوانين تستمد من الشريعة الدينية.

٥) إعطاء دور فاعل للحاخامات بتحديد صلاحيات تشكيل المؤسسة الحاخامية التي تدعمها الدولة ماديًا.

"وقد كانت هذه هي مبادئ الوضع الراهن التي رافقت كل الاتفاقيات الائتلافية الصهيونية (منذ عام ١٩٥٥) والتي وقعت بين حزب المابای والأحزاب الدينية، وبعد ذلك بين حزب الليكود والأحزاب الدينية في الاتفاق الائتلافي عام ١٩٧٧، عام الانقلاب السياسي الكبير، حيث خصصت معظم بنود الاتفاقية لتوضيح الوضع الراهن" [(٢)].

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامي: القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، مرجع سابق (ص٧٤).
(٢) نفس المرجع.

ومع البدايات الأولى لقيام دولة إسرائيل، كانت القوى والأحزاب الدينية المختلفة في منأى عن لعبة السياسة، فقد كان جل اهتماماتها في المحافظة على الشريعة اليهودية، وكانت مطالبها ترتكز إلى النواحي ذات الطبيعة الدينية فحسب، مثل مطلبها بزيادة ودعم عدد من المدارس الدينية، أو التدقيق في الالتزام بقدسية يوم السبت، أو المطالبة بتخصيص شواطئ خاصة لليهود المتدينين، وما إلى ذلك من الأمور الدينية البحتة، حتى حدث الانقلاب الخطير في توجهات هذه القوى الدينية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ واحتلال إسرائيل لمساحات كبيرة من الأراضي العربية، "وقفزت هذه القوى من مجرد (شريك متواضع) في الحكومة إلى (عامل مهم) في تشكيلها، ثم إلى (عامل حاسم) في تقرير إلى من تذهب السلطة و إلى أين تتجه ؟ وتطورت مطالبها إلى قضايا ذات طابع إستراتيجي تمس صلب التوجهات الأساسية للدولة. . . مثل الأرض المحتلة وحدود التفاوض بشأنها، واتفاقيات السلام مع العرب أو السلطة الفلسطينية، وغيرها من القضايا ذات الطبيعة السياسية الإستراتيجية الحساسة"[1]. ولنا أن نتصور مدى النشوة الدينية التي عاشها الحاخامات اليهود بعد حرب ١٩٦٧، فقد أرجعوا هذا الانتصار إلى (معجزة إلهية) ونظروا إلى هذه الأرض على أنها (أرض محررة) من يفرط فيها يعد خائنًا وجب قتله.

وهكذا، دخلت الأحزاب الدينية حلبة السياسة، وأصبحت بمثابة رمانة الميزان التي تحافظ على توازن الحكومة أو سقوطها. وعلى سبيل المثال، احتلت بعض الأحزاب الدينية في إسرائيل عدداً كبيراً من المقاعد داخل الكنيست السادسة عشر، حيث هناك ثلاثة مقاعد في الكنيست لحزب "أجودات يسرائيل"، ومقعدان لـ "ديجل هاتوراه"، وستة مقاعد للمفدال (الحزب الديني القومي)، وأحد عشر مقعداً لحزب "شاس" ويتحد حزب "ميماد" مع "حزب العمل" بتسعة عشر مقعداً.

وتلعب الأحزاب الدينية في إسرائيل دوراً فاعلاً داخل الكنيست الإسرائيلي وتمسك بخيوط اللعبة السياسية مع الأحزاب الأخرى التي تحاول أن تستقطب الأحزاب الدينية إليها بما يضمن استمراريتها ونجاح سياستها داخل الكنيست، وتستغل الأحزاب الدينية هذا "التدليل السياسي"، إن صح التعبير، وتعمل على تحقيق مصالحها وتأمين ميزانيتها اللازمة لتمويل مشاريعها الدينية وكافة نشاطاتها الأخرى.

(1)أحمد بهاء الدين شعبان: حاخامات وجنرالات، مرجع سابق، (ص ٢٠).

ثانيًا: مفهوم الوعد الإلهي بين العهد القديم وفتاوى الحاخامات اليهود:

(١) مفهوم الوعد الإلهي في العهد القديم:

يرجع ادعاء الحاخامات المتطرفين بالحق الديني لليهود في أرض فلسطين إلى فكرة الوعد الإلهي لليهود بتخصيص هذه الأرض لهم وفقًا لما جاء في العهد القديم من وعود.

"ويتلخص مضمون هذه الفكرة في أن الآباء الإسرائيليين، ابتداء من آدم إلى نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف، قد تلقوا وعودًا إلهية، وأن التاريخ الإسرائيلي اللاحق يعتبر المسرح الذي تحققت عليه هذه الوعود... وقد تمت عملية ربط التاريخ اليهودي الحديث بالماضي من خلال التأكيد على تكرار هذه الوعود بتكرار العهد المعطى لموسى مع عدد من الآباء السابقين، ومن أهمهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، بل العودة بفكرة العهد إلى نوح وآدم حتى يصبح التاريخ اليهودي وحدة واحدة لا تتجزأ"[(١)].

وتتضح فكرة الوعد الإلهي مع إبراهيم في سفر التكوين، حيث يقول الرب لإبراهيم في الإصحاح الثاني عشر: "وقال الرب لابرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك" (التكوين، إص ١٢: ١). ويتم التأكيد على هذا الوعد في الإصحاح الخامس عشر من نفس السفر: "وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين، ليعطيك هذه الأرض لتراثها" (التكوين، إص ١٥: ٧)، "لذلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات" (التكوين، إص ١٥: ١٨)، وهذه الفقرة محور خلاف كبير بين بعض الحاخامات اليهود في مسألة حدود الأرض كما جاءت في العهد القديم، وهو ما سنراه فيما بعد.

ويتكرر هذا الوعد مع إبراهيم في الإصحاح السابع عشر أيضًا من هذا السفر، حيث كان إبراهيم يبلغ من العمر تسعًا وتسعين عاما، فظهر له الرب، وأمره بالسير أمامه ليقيم معه عهدًا، وقد أسماه الرب إبراهيم بعد أن كان يدعى أبرام، ثم وعده بأرض كنعان ملكًا أبديًا له: "وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدًا أبديًا. لأكون إلهًا لك ولنسلك من بعدك. وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكًا أبديًا" (التكوين إص ١٧: ٧ـ٨).

---

(1) د. محمد خليفة حسن: دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥، (ص٥٥ـ٥٦).

وفي الإصحاح السادس والعشرين من نفس السفر، يؤكد مدون هذه النصوص على ذلك الوعد الإلهي، حيث يتجدد العهد مع إسحاق: " فظهر له الرب في تلك الليلة وقال أنا إله إبراهيم أبيك. لا تخف، لأني معك وأباركك وأكثر نسلك، من أجل إبراهيم عبدي " (التكوين إص ٢٦ : ٢٤).

ويأتي مدون العهد القديم بتلك الفقرة للتأكيد على الوعد الذي قطعه الرب مع عبده إبراهيم حسبما جاء في الرواية التوراتية، وذلك بعد أن زرع إسحاق في أرض كنعان فأصاب وصار له كثير من الغنم والمواشي وحسده الفلسطينيون على ذلك.

وفي الإصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين يظهر الرب أيضًا ليعقوب؛ وهو في طريقه من فدان أرام ويباركه، وبعد أن أسماه الرب إسرائيل بدلاً من يعقوب يجدد العهد معه ويمنحه أرض أجداده، كما ذهب مدون تلك النصوص: " والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيتها. ولنسلك من بعدك أعطى الأرض " (التكوين ٣٥ : ١٢).

وفي محاولة للتأكيد على هذا الوعد الإلهي، يتكرر العهد مع موسى في الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد: " وكلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً كلم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان " (العدد، إص ٣٣ : ٥٠ – ٥١).

وهكذا، يتم التأكيد على هذا الوعد من خلال تكراره مع كل الآباء الإسرائيليين، والمثير للدهشة هنا هو تكرار هذه الوعود بنفس الصيغة والأسلوب، وكأنها محاولة من مدون العهد القديم للتأكيد على هذا الوعد بتلك الأرض، "وربما نلاحظ، أيضًا ذلك التقارب الشديد في الألفاظ المستخدمة في هذه العهود المتكررة على الرغم من المسافة الزمنية الفاصلة بين كل أب من هؤلاء الآباء. وهذا يدل على أن هذه الصيغ المتكررة للعهد إنما وضعت جميعها بيد كاتب واحد. ويظن بعض الدارسين، أنه موسى، بينما يظن آخرون، أنها من نتاج عصر النبوة في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد "[1].

كما أن تكرار هذه الوعود مع آباء بنى إسرائيل قد يشير أيضًا إلى عدم أحقيتهم بهذه الأرض، وهو ما جعل مدون العهد القديم يلجأ إلى حيلة الوعد الإلهي، وأكد عليه مرارًا وتكرارًا في محاولة لإعطائه شرعية دينية، ظنًا منه بأن التكرار يفيد التأكيد على تلك الشرعية، ولكنه بهذه الصيغة أفاد الشك والريبة.

(١) د. محمد خليفة حسن: دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، مرجع سابق، (ص٥٦)

وقد ارتبط تنفيذ هذا العهد أيضًا، بعمليات قتل وتخريب وتشريد، كما جاء في العهد القديم وهو الأمر الذي يستلهمه الحاخامات اليهود المتطرفين في وقتنا الحالي في فتاوى التعامل مع (الأرض المقدسة). ومما يثير الدهشة والشك، هو أن هذه العمليات تتم بأمر من الرب ذاته، فحين كلم الرب موسى ـ كما ذهب مدون العهد القديم ـ أمره بطرد سكان كنعان وقتلهم، "فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم، تملكون الأرض وتسكنون فيها، لأني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها" (العدد إص ٣٣ : ٥٢).

ولم يقف الأمر عند الطرد والتخريب فقط، بل امتد إلى قتل النساء والأطفال، مثلما جاء في سفر العدد، "فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها" (العدد إص ٣١ : ١٧).

وهكذا، يبدو مدونو العهد القديم وكأنهم يدفعون بيهوه لأن يكون وراء هذا العنف والقسوة والتشدد، وقد حملوه بكل التبعات، فغدا الحقد حقده، والعدوان عدوانه، الذي يخطط له ويحث على تنفيذه دون رحمة أو رأفة لا بالنساء ولا بالأطفال ولا بالشيوخ الكبار.

وفي حقيقة الأمر، تمثل هذه الأمور مسألة غاية في الخطورة حينما يستخدمها الحاخامات اليهود المتطرفين في فتاواهم الخاصة بالأرض الموعودة؛ لاسيما وأنها نصوص مقدسة لا تقبل المناقشة أو الاعتراض، حسبما يروجون بين مريديهم. وتجدر الإشارة هنا، إلى أن هذه القوانين الخاصة بأسلوب التعامل مع سكان هذه الأرض "يتسلمها القادة الإسرائيليون كمصدر وحي، وكشريعة مقدسة لاستئناف البعث الإسرائيلي في فلسطين، على أساس أن كل جريمة تصبح شرعية وقانونية من أجل تحقيق وعد الرب"[1]. خاصة وأن "الوعد الإلهي" لدى الحاخامات اليهود المتطرفين يعد مقياسًا لدرجة إيمان الشعب اليهودي، فإيمانهم يقوم على الميثاق أو العهد الديني بين الرب وشعبه، فهذا الشعب، يستمر فقط في حالة المحافظة على هذا العهد الذي يبرهن على مدى الإخلاص والإيمان.

ويعد سفر التثنية، من أهم المصادر، التي يستند إليها الحاخامات اليهود المتطرفين في مسألة أسلوب تحقيق هذا الوعد الإلهي، الذي منحهم تلك الأرض من خلال الاستيلاء على المدن وسفك الدماء لأهل البلاد. ويتحدث الإصحاح العشرون من هذا السفر عن

(١) د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة، الكويت، العدد١٠٢، يونيو ١٩٨٦، (ص١٧٠).

كيفية التسخير والاستبداد لأهل البلاد، وفى حالة الرفض "فاضرب جميع ذكورها بحد السيف". (التثنية، ٢٠ : ١٣).

ويمضى الإصحاح العشرون من هذا السفر في الحديث الإلهي عن كيفية محاربة الأعداء والاستيلاء على المدن وأسلوب التعامل مع أهل البلاد. إنها قوانين الحرب التي أشتمل عليها سفر التثنية من الإصحاح العشرين وحتى الرابع والعشرين، والتي يرتكز إليها الحاخامات اليهود المتطرفين في استصدار فتاواهم، كما سنرى فيما بعد، والتي تغلف دائمًا بمثل هذه النصوص حتى تأخذ نوعًا من القدسية والشرعية الدينية التي لا تقبل الشك أو الاعتراض.

وفي حقيقة الأمر، تثير عملية ربط هذا الوعد بالقتل والطرد والإبادة نوعًا من الشك أو الافتراء على الذات الإلهية، فمن غير المعقول أن يوحي الرب لنبي من أنبيائه بالقتل وسفك الدماء والتخريب بهذه العنصرية والدموية. حتى وإن كان الهدف من وراء ذلك "تقديس الأرض" لتصبح "أرض الرب" أو "الأرض المختارة" للشعب المختار أو "الأرض المقدسة" التي تفوق في قدسيتها أية أرض أخرى لارتباطها بالشعب المختار تارة، ولأن الرب يسكنها تارة أخرى، كما جاء في المزمور (٩ : ١١) "رنموا للرب الساكن في صهيون".

كما أن التوراة تحدثت أيضًا عن أرض فلسطين كأرض غربة بالنسبة إلى آل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، حيث تحدثت عنهم بصفتهم غرباء ووافدين على فلسطين (التكوين ١٧ : ٨) وهو تناقض وقع فيه مدون العهد القديم، لأن التوراة تعترف بأن الرب نفسه نقض هذا العهد حين عاقب اليهود، "ففي سيناء عقد يهوه عهدًا مع إسرائيل. وهذا العهد هو من فعل يهوه فهو اختار إسرائيل ودخل معها في علاقة وطيدة من خلال العهد وتحت حمايته الخاصة، وقطع العهد من جانبهم له عواقبه التاريخية في رأى الأنبياء والمؤرخين. فبنو إسرائيل لم يعيشوا حسب شروط العهد ولم ينفذوا الوصايا، بل لم يقبلوا يهوه إلها واحدًا بل عبدوا آلهة أخرى، ولهذا فقد قرر يهوه عقابهم عن طريق تسليط الشعوب الأخرى عليهم"[(١)].

ولأن قطع العهد يعنى عقابًا من يهوه، حسب المفهوم الديني لهذا العهد، فإن المحافظة

(١) د. محمد خليفة حسن: التفكير التاريخي والحضاري عند الشعوب العربية (السامية) القديمة، كلية الآداب ج القاهرة، ٢٠٠٠، (ص٢٠٤).

على هذه الأرض تعنى التحرك نحو تحقيق الوعد والمحافظة عليه. لذا، يروج الحاخامات اليهود المتطرفين لفكرة الوعد ويستصدرون فتاواهم من هذه الفكرة ويرهبون بها من يحاول الحيد عنها، على اعتبار أنها وثيقة ربانية لا تقبل الجدل أو الشك، على الرغم من التناقضات الكبيرة التي وقع فيها مدون العهد القديم أثناء تأكيده على هذا العهد في مبالغة كبيرة وواضحة تشير إلى الشك أكثر منها إلى اليقين.

وهو أمر يؤكد عليه سيد القمنى في كتابه (إسرائيل ـ التوراة ـ التاريخ ـ التضليل) بقوله: "إن التناقضات التي ينطوي عليها العهد القديم، يمكن أن تؤلف وحدها كتابًا قائمًا بذاته، لا يقل حجمًا عن الكتاب المقدس ذاته، لو أردنا أن نجمعها في مدون واحد، وهذا بحد ذاته كفيل بنزع الثقة عن التوراة وأخبارها منذ البدء، وحتى الأحداث التي ترويها، كوقائع حدثت في القرن التاسع قبل الميلاد على الأقل، ففي التوراة مبالغات لا يمكن قبولها إطلاقًا وهى أقرب إلى الأسطورة منها إلى التاريخ الصادق"[1].

(٢) فكرة الوعد الإلهي كمصدر لفتاوى الحاخامات اليهود المتطرفين:

اتخذ الحاخامات اليهود المتطرفين من الوعد الإلهي حجة من أجل دفع الإسرائيليين نحو التمسك بهذه الأرض التي وعدهم بها الرب حسب ادعائهم، وأحاطوا فتاواهم بنوع من القدسية والتهديد في آن واحد، بحيث لا تقبل المراجعة أو النقد؛ فهي أمر واجب التنفيذ فحسب، واتخذت فتاواهم منحنى خطراً تجاه التعامل مع الآخر (الفلسطيني) صاحب هذه الأرض بكل قسوة وعنف؛ وأصبحت عمليات القتل والهدم والتخريب، وكأنها طقس من الطقوس البدائية التي عادت لتقدم قرباناً للرب طمعًا في إرضائه، وربما يبين لنا حادث مقتل رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إسحاق رابين مدى خطورة الدور الذي يلعبه الحاخامات اليهود المتطرفين حيث كشفت التحقيقات التي أجريت مع "ييجال عامير" قاتل رابين أنه قتل رئيس الوزراء بناء على فتوى من أحد الحاخامات المتطرفين أبيح فيها إهدار دم رابين، لأنه كان ينوى التخلي عن الأرض الموعودة بموجب اتفاق مع الفلسطينيين.

إن قدسية الأرض لدى الحاخامات اليهود المتطرفين تعد عقيدة لا يمكن أن تتزعزع، فعلى سبيل المثال، "أعلن الحاخام العسكري الإسرائيلي موشيه جورن أن الحروب الثلاثة

(١) سيد القمنى: إسرائيل. التوراة. التاريخ. التضليل، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، قبرص، ١٩٩٤، (ص٣٦).

التي جرت بين إسرائيل والعرب خلال السنوات ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، هي في منزلة (الحرب المقدسة)، فأولها لتحرير أرض إسرائيل، والثانية لاستمرار دولة إسرائيل، أما الثالثة فقد كانت لتحقيق نبوءات أنبياء إسرائيل "[١].

وبنظرة عابرة على فتاوى الحاخامات اليهود المتطرفين الخاصة بالأرض، يتكشف لنا مدى خطورة هذه الفتاوى، لاسيما أنهم يستندون في فتاواهم إلى ما ورد على لسان الرب، الذي من المفترض أن تكون كلماته موضع التنفيذ الدائم، فهذه الأرض هي أرض مقدسة وعدهم الرب بها ولا يمكن التفريط فيها تحت أي مسمى أو اتفاق.

ويذهب "إسحاق نسيم" حاخام إسرائيل الأكبر السابق، إلى أن " أرض إسرائيل هي الميراث المقدس لدى كل يهودي، ولا تملك أية سلطة دنيوية أو دينية على نقض هذا الدعاء أو التقليل من شأنه "[٢].

ويمتد هذا التعصب الديني إلى أن بعض الحاخامات اليهود المتطرفين لا يعترفون بوجود أراض عربية، ويستندون في ذلك إلى ما ورد في التوراة على أنها تراث الآباء إسحاق ويعقوب، حيث يقول الحاخام يهودا كوك الابن : "إن هذه البلاد لنا، ولا توجد هنا أية مناطق عربية أو أرض عربية، بل أرض إسرائيل. تراث الآباء الخالد، وهي ـ في جميع حدودها الواردة في التوراة ـ تابعة للحكم الإسرائيلي "[٣]. وهو نفس الاتجاه الذي تتبناه حركة "جوش ايمونيم" (كتلة الإيمان) التي تدعو إلى ضم كل الأراضي العربية والمحافظة على تراث الآباء الخالد الذي وعد به الرب أبناء إسحاق ويعقوب.

ويعتمد الحلم الاستيطاني لدى الحاخامات اليهود المتطرفين، على توسيع نطاق الاحتلال أي توسيع نطاق مملكة إسرائيل حتى الحدود الموعودة في العهد، الذي قطعة الرب مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ظنًا منهم بأن توسيع الاستيطان يعنى المحافظة على العهد، والتقاعس عنه يعنى مخالفة العهد. وقد كتبت لجنة حاخامات الضفة الغربية وقطاع غزة تقول: "لا يجوز أن يقوم المؤمن اليهودي بأي دور في خيانة الوعد الإلهي المكتوب في توراتنا، الذي وعد فيه اليهود بأرض إسرائيل. . . وقد كتب الحاخام دافيد شفيتس أحد

(١) د. رشاد عبد الله الشامي : الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص١٧٣).
(٢) أحمد بهاء الدين شعبان: حاخامات وجنرالات، مرجع سابق، (ص ١٥).
(٣) نفس المرجع، (ص٣٣).

كتاب حركة (زعامة يهودية)، إنه لا مجال للتفاوض بشأن الحفاظ على العهد الذي تلقاه أبونا إبراهيم من الرب، فهذا (إرث شعب إسرائيل)"[١].

ويقول "موتى كربل" في كتابه الثورة العقائدية: "ينظر الوعي العقائدي إلى حدود أرض إسرائيل على أنها حدود الوعد الإلهي الواسعة"[٢]. كما يقول "هليل فايس" في كتابه (الطريق القويم): "إن هدف النضال المسلح هو إقامة دولة يهودية على كل أرض يتم تحريرها من نهر الفرات إلى نهر مصر"[٣].

وفي سؤال مباشر للحاخام الإسرائيلي "زلمان ملاميد" عن موقف الشريعة اليهودية من التوسع في الأراضي الفلسطينية أجاب قائلاً: "إننا إذا تواجدنا في كل مكان فإننا سنحول، بصورة كبيرة، من قدرتهم على الضرر بنا. فطبقًا للشريعة اليهودية، يحظر علينا أن نفرط في السيطرة على كل أرض إسرائيل، لأننا مأمورون بوراثة هذه الأرض كلها وعدم إعطائها للغرباء"[٤].

وتعقيبًا على قول اليساريين الإسرائيليين، بأن الاحتلال مدمر وعواقبه وخيمة، يقول الحاخام شارلو: "اليسار على حق في أن الاحتلال المستمر لسكان معاديين يعقد الموقف، ولكن اليسار يدعو للتنازل عن أرض إسرائيل؛ وهو أمر مرفوض، فلا يستطيع أحد أن يقول إنه إذا كان للحب جوانب سلبية، فيجب أن نتنازل عنه. إننا يجب أن نستمر في الاستيطان في أرض إسرائيل، ومع ذلك يجب ألا نتجاهل المخاطر وأن نواجهها"[٥].

وفي حقيقة الأمر تنبع خطورة هذه الفتاوى في التأثير على بعض الجنود والضباط الإسرائيليين الذين يعتبرونها نوعًا من الأوامر الشرعية الأخلاقية واجبة الطاعة والتنفيذ في الحياة اليومية بالمناطق المحتلة، ومن ثم فإن هذه الشرعية تعنى أن المواجهة بين إسرائيل والفلسطينيين ليست صراعًا سياسيًا يمكن حله عن طريق التسوية السياسية، بل هي حرب إلهيه أبدية، حرب الرب ضد شعب العماليق.

وتنبع خطورة هذه الفتاوى أيضًا من أن أقوال هؤلاء الحاخامات تغلق الطريق أمام

---

(1) יוסף הרמוני – www.nrg.co.il

(2) שם.

(3) שם.

(4) עיין: השער לעולם התורה. www.yeshiva.org.il

(5) www.a7.org 23-11-2004

الحوار والتفاوض، وبالتدقيق في هذه الفتاوى يتضح أنه لم ترد أية إشارة في أقوالهم بأن هناك طريقًا آخر لإدارة الصراع، ولو بالحوار، على سبيل المثال. ومع ذلك فإن التجاهل التام للجوانب العامة للصراع يجعل من فتاوى رجال الدين اليهودي بيانًا متعصبًا بلا مضمون أو عدل.

ويحذر بعض المفكرين الإسرائيليين من خطورة هذه الفتاوى المتعصبة، فتحت عنوان (مخاطر في تصريحات رجال الدين) كتبت هيئة تحرير صحيفة "هآرتس" تقول: "لقد شهد الموقف التوراتي تجاه شعب العماليق تحولاً حاداً طوال آلاف السنين من التفاسير والشروح التي تم خلالها بلورة أسس الديانة والثقافة اليهودية. وللأسف الشديد أن الحاخامية الرسمية والزعامة الدينية لحركة الاستيطان سيطرت على الحوار الإسرائيلي. وتحاول هذه العناصر منذ سنوات إعادة دولة إسرائيل العصرية ـ التي تواجه تحديات سياسية وعسكرية معقدة ـ إلى التفسير الموروث ذي البعد الواحد للرواية التوراتية. فهم يجندون المصادر الدينية وحاخامات إسرائيل بأجيالهم المختلفة لخدمة نظرية قومية ضيقة الأفق، غير متسامحة ومدمرة"[1].

وفي مقابل هذه التحذيرات من خطورة فتاوى الحاخامات اليهود المتطرفين، يعضد مفكرون آخرون من موقف رجال الدين تجاه مفهوم الأرض من المنظور الديني للصراع، فقد علق البروفيسور الإسرائيلي "يهودا تسوريف" على هذا المفهوم قائلاً: "إن حماية وحدة أراضى البلاد هي الاختبار الفعلي لقدرة الشعب اليهودي على تحقيق الهدف من وجوده كما ورد في العهد القديم. وإذا نجح الشعب اليهودي في ظل ضغوط الواقع في تحقيق سيادته على الأرض الموعودة، فمن المؤكد سيكون قادراً على تبنى كل المبادئ الأخلاقية الواردة في العهد القديم على المستوى القومي، والجماعي، والفردي. وفى مقابل هذا، فإن فشل الشعب اليهودي في تحقيق وحدة أراضى البلاد سيثبت أن الاستعداد القومي لتنفيذ تعاليم التوراة مشروط بموافقة شعوب العالم"[2].

وقد كتب الحاخام "يوناثان بلاس" مدير برنامج تعليم الحاخامات المخصص لخريجي المدارس الدينية القومية في إسرائيل يقول: "إن التخلي عن جزء من الأرض اليهودية أمر يؤسف له... لأن ذلك يتعارض مع الضرورات التوحيدية اليهودية المرتبطة دون تنازل

---

(1) עיתון הארץ، 9/9/2004

(2) www.a7.org / 18-3-2004

بإعادة السيادة اليهودية على أرض الميعاد. وهذه الرواية الأخلاقية هي التي خانها رابين وبيرتس باستخفاف، من خلال رغبتهما في الوصول إلى التطبيع والاعتراف العالمي، وذلك في محاولة فاشلة ويائسة للهروب من الصراعات والالتزامات النابعة من القرار اليهودي الواحد"[1].

إن استلهام الحاخامات اليهود للتراث الديني أو النصوص التوراتية في إصدار فتاواهم هو أمر طبيعي وبديهي للوهلة الأولى، ولكن السؤال هنا: ألم تكن هذه النصوص التوراتية محل شك وخلاف بين كثير من الباحثين حول المصداقية التاريخية في النص التوراتى؟ ألم تتحدث النصوص التوراتية المقدسة عن وجود شعب يسكن هذه الأرض منذ فجر التاريخ؟ ألم تتحدث هذه النصوص أيضًا عن أوامر ألهيه بقتل وطرد سكان هذه الأرض الأصليين؟ غير أنه وبمطابقة الأحداث التاريخية التي أثبتتها نصوص تاريخية أركولوجية بما ورد في العهد القديم، وجد أن أغلب النصوص المقرائية تدخل ضمن نطاق الخرافة والأسطورة. كما أن هذه النصوص الدينية اليهودية تحدثت أيضًا عن أن هذه الأرض هي أرض غربة بالنسبة إلى آل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، حيث تحدثت عنهم بصفتهم غرباء ووافدين على أرض فلسطين، كما ورد في سفر التكوين: "وقال الرب لابرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك" (التكوين ١٢ : ١)، و"أعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك" (التكوين ١٧ : ٨). علاوة على أن التوراة تعترف بأن الرب نقض هذا العهد حين عاقب اليهود وسلط عليهم الشعوب الأخرى.

ثالثًا: حدود "أرض إسرائيل" في مفهوم الحاخامات اليهود:

يرى الحاخامات اليهود أن توسيع نطاق الاحتلال، أي توسيع مملكة إسرائيل، طبقًا للحدود الموعودة في النصوص التوراتية، كما جاء في العهد الذي قطعه الرب مع إبراهيم، يعد بمثابة الحفاظ على العهد، والحيد عن ذلك يعد خطيئة في حق الرب الذي كرم اليهود وأورثهم هذه الأرض. وهم يستندون في ذلك إلى العهد الوارد ذكره في الإصحاح الثالث عشر من سفر التكوين: "ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا. لأن جميع الأرض التي لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد" (سفر التكوين إص ١٣ : ١٤ـ١).

(١) أيما نويل هيمان: الأصولية اليهودية، ترجمة: سعيد الطويل، مراجعة: د. جمال الرفاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، (ص ١٤١).

ويدرك الحاخامات اليهود أن تحقيق مملكة إسرائيل، طبقًا للوعد الإلهي، ينطوي على صراع دائم ومستمر، لأن حدود هذه المملكة تقع في نطاق حدود الآخرين من غير اليهود، ومن ثم، فإن فتاواهم تشكل صراعًا مستمرًا مع "الجوييم" أصحاب هذه الأرض. وغالبًا ما تصطدم آراؤهم مع الدولة التي أسسها علمانيون، حيث يقول أيما نويل هيمان في كتابه (الأصولية اليهودية): "لقد كانت العلاقات بين دولة إسرائيل التي تخيلها ووضع الأسس النظرية لها وأسسها علمانيون، وبين الجماعات الدينية دائمًا غير محددة وتصارعية، علاقات غير محدودة لأن اليهودي الديني، هو بشكل ما، الحامل للوعد الإلهي، الذي يعطى الدافع والشرعية للعودة إلى الأرض المقدسة، لأن شيئًا لم يكن ممكنًا أن يحدث لو لم يكن الرب قد قاد إبراهيم إلى كنعان"[1].

وتتضح هذه العلاقة التصارعية، في حادث مقتل "رابين" الذي هم ليقتطع جزءاً مما يسمى "الحدود المقدسة" ليعطيها للفلسطينيين، فكان جزاؤه القتل بناء على فتوى من أحد الحاخامات اليهود المتطرفين.

وتتضح معالم حدود "أرض إسرائيل" في كتاب (الطريق القويم) للبروفيسور اليهودي "هليل فايس" وهو واحد من المنظرين والكتاب المهمين في حركة (زعامة يهودية). حيث كتب يقول: "يكمن الهدف من النضال المسلح، في إقامة دولة يهودية على كل أرض يتم احتلالها من نهر الفرات إلى نهر مصر"[2].

ولكن السؤال المطروح هو، ما هي إذًا حدود الأرض الموعودة؟ بالنسبة للحدود الغربية يقول "يوسيف حرمونى"، وهو أحد مؤسسى حركة "تسوميت": "إنها كما نعرف تنحصر بين نهرين: (لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات) تكوين: ١٥ـ١٨، وبالنسبة لهوية نهر مصر هناك اختلاف يكتنفه الغموض المتعمد، حيث تحدد حركة (زعامة يهودية) الأهداف التالية في واحد من إعلانات النوايا الصادرة عنها: المملكة، والنبوءة، والهيكل المقدس وأرض إسرائيل الكاملة من الفرات وحتى نهر مصر. ولم توضح الحركة هل القصد هو نهر النيل أم وادي العريش؟[3].

---

(١) أيما نويل هيمان: الأصولية اليهودية، ترجمة: سعيد الطويل، مراجعة: د. جمال الرفاعي، مرجع سابق، (ص١٣٢).

(2) עיין: יוסף חרמוני, עיתון "מעריב", 6 10 2004.

(3) שם.

ولكن في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر العدد، توجد خريطة مغايرة لما ورد في سفر التكوين حددت على أنها أرض كنعان بتخومها. وقد حل الحاخامات اليهود هذه المشكلة بأن شبهوا الأرض بجلد الإبل الذي ينكمش في حالة العطش والجوع ويتمدد إذا شبع وارتوى، وبالتالي فتنكمش الأرض المقدسة إذا هجرها ساكنوها من اليهود، وتتمدد وتتسع إذا جاءها اليهود من بقاع الأرض.

"وهذه الرؤية تعد الأساس الديني للتوسعية الصهيونية: إذا زاد عدد المهاجرين اليهود ليستوطنوا في فلسطين تمددت حدود الدولة الصهيونية. وقد طرح الصهاينة في بداية الأمر شعار "من النيل إلى الفرات"، ولكن على مستوى الممارسة الفعلية أصبح ما يقرر حدود الأرض هو القوة العسكرية الإسرائيلية. ولذلك انسحبت القوات الإسرائيلية من سيناء ولم تنسحب من الجولان، رغم أن سيناء أكثر قداسة من الجولان في المنظور اليهودي، فالصهاينة يوظفون الرؤية الدينية في خدمة الرؤية العسكرية. ومن المشكلات الطريفة التي واجهها لاهوت الأرض مشكلة ملكيتها. فالأرض المقدَّسة عبر تاريخها كان يقطن فيها، في معظم الأحيان، شعب عادي "غير مقدَّس" من وجهة النظر الدينية اليهودية، ففسر الحاخام راشي العبارة الافتتاحية في التوراة التي تقول: "في البدء خلق الإله السماوات والأرض"، بالطريقة التالية: إن الإله يخبر جماعة إسرائيل والعالم أنه هو الخالق، ولذلك فهو صاحب ما يخلق، يوزعه كيفما شاء. ولذا، إذا قال الناس لليهود أنتم لصوص لأنكم غزوتم (أرض إسرائيل) وأخذتموها من أهلها فبوسع اليهود أن يجيبوا بقولهم :إن الأرض مثل الدنيا ملك الإله، وهو قد وهبها لنا. وقد استخدم الفيلسوف اليهودي مارتن بوبر المنطق نفسه في العصر الحديث في مجال تبرير الاستيلاء الصهيوني على الأرض"[(١)].

ويوضح "موتى كربل" في كتابه (الثورة العقائدية)، "التفكير في احتلال سيناء أيضًا"[(٢)] على اعتبار أنها ضمن حدود الوعد الإلهي.

وفى موقع **morya** الإلكتروني كتب الحاخام "عوزيئيل إلياهو" أن الحدود الغربية هي وادي العريش أو نهر النيل[(٣)]. "أما الحاخام حاييم شتاينر فقد كان أكثر تشدداً وهو يقول باسم حاخامات مدرسة بيت ايل الدينية: (بصفة عامة) كان الفرات والنيل النقطتان

(١) د. عبد الوهاب المسيرى: الإنسانية والعدوانية في العقيدة اليهودية، مجلة (قضايا الأمة)، ٤ـ٢ـ٢٠٠٥.
(2) יוסף הרמוני, שם.
(3) עיין: www.morya.co.il

الرئيسيتان. وكذلك البحر المتوسط والبحر الأحمر. كما يقول الحاخام يتسحاق جينز بورج المعروف بتطرفه: (نهر مصر هو نهر النيل وفقًا لرأى معظم المفسرين بما في ذلك الحاخام الراحل شلومو بن يتسحاق)"[1].

وتبدو الحدود الشرقية للوهلة الأولى أكثر وضوحًا في مفهوم بعض الحاخامات اليهود المتطرفين، على الرغم من أن هناك تفسيرات مختلفة حولها، "إنه نهر الفرات... وفى الوقت الذي تقبل فيه الأغلبية اعتماد مملكة إسرائيل المستقبلية على الجزء الأعلى منه، أي الجزء السوري من نهر الفرات، توجد أيضًا روايات تقول إنها أوسع من ذلك.

فيقول الحاخام الدكتور موشيه هاكوهين الأستاذ بجامعة بار ايلان: "يرى بعض المفسرين القدامى أن هذا النهر هو الحدود بامتداده الأكبر والأطول الموجود شرقي أرض كنعان حتى مصبه في الخليج العربي"[2].

"ويميل الحاخام شتاينر من مدرسة بيت ايل الدينية إلى قبول هذه التفسيرات القديمة. ويعلن استنادًا للحاخام موشيه بن ميمون، أن إبراهيم ولد في كوتا القريبة من الخليج العربي، ويقول شتاينر، إن كوتا لم تكن (أرض إسرائيل) لأنها تقع شرقي الفرات. ويمكن أن نستنتج من ذلك أن كل ما يقع غربي نهر الفرات عند طرفه الجنوبي هو (أرض إسرائيل)"[3].

كما يقول الحاخام "زلمان ميلاميد"، مدير مدرسة بيت ايل الدينية: "لا خلاف على أن الدول العربية مثل المملكة العربية السعودية، والكويت واليمن تقع خارج حدود إسرائيل، وحيثما يوجد خلاف فيجب التشدد"[4]. وهناك من الحاخامات من يدرج العراق الواقعة غربي الفرات ضمن خريطة الأرض الموعودة، التي يقبلها معظم أنصار الحركة الاستيطانية.

أما الحاخام "يهودا هاليفى عاميحامى" فيرى "أن هناك مناطق من الأرض الموعودة موجودة في الجزء الجنوبي من تركيا وفقًا لآراء عديدة"[5]، وهو بذلك يوسع من الحدود الشرقية لتتجاوز شمال العراق أيضًا.

---

(1) יוסף חרמוני، שם.

(2) שם.

(3) שם.

(4) עיין: www.yeshiva.org.il

(5) יוסף חרמוני، שם.

وهكذا، تحمل مفاهيم هؤلاء الحاخامات المتطرفين، التي تدعو لمزيد من التوسع والاستيطان، خطورة بالغة، وتسكب مزيداً من الوقود على نار الصراع، التي لم تخمد بعد. فهم يختلفون فيما بينهم نحو حدود "أرض إسرائيل" الموعودة، مثلما تخبط في ذلك مدون العهد القديم، ولكن هذا التخبط من شأنه أن يزيد الموقف صعوبة، خاصة وأن هذه المفاهيم الحاخامية الشيطانية تلعب بمقدرات الشعوب وتستهين بالحدود وسيادة الدول الأخرى، وكأنهم يعضدون من "فكرة الاختيار" التي أثرت، بلا شك، على حياة اليهود وعلاقتهم بالشعوب الأخرى، فهذه الشعوب محرمة عليهم، لأنها شعوب نجسة ومحرم عليهم قطع عهوداً معها أو الإشفاق عليها أو مصاهرتها كما جاء في سفر التثنية (٧: ٢)، علاوة على أن الشعور بالأفضلية لدى اليهود على بقية البشر، جعلهم يعبثون بالخطر، ودفعهم للجلوس على فوهة بركان من المفاهيم العنصرية، من شأنه أن ينفجر في أي لحظة. وثمة نظرة عميقة تجاه هذه المفاهيم العنصرية التي ترسم حدود "أرض إسرائيل" الكاملة دون أدنى اعتبار لملايين العرب الذين يعيشون داخل هذه الحدود، تؤكد لنا سمة "الشعور بالاستعلاء" على الأمم الأخرى.

أضف إلى ذلك "أن اليهود لا يترددون في تسمية أنفسهم (شعب الله المختار)، حيث يعتقدون أن هذا الاختيار هو برنامج ألهى، حيث يعاقب الله الأمم الأخرى عن طريقهم، وهم الذين يبقون وحدهم في آخر الزمان متسلطين على رقاب العالم. كذلك فهم يسمون أنفسهم עם עולם (الشعب الأزلي) وעם ניצח (الشعب الأبدي)، حيث يعتقدون وحدهم أنهم مثل الرب لا أول لهم ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، وעם קדוש الشعب المقدس"[1].

ويستندون في ذلك إلى الفقرة الأولى من سفر التكوين (في البدء خلق الرب السموات والأرض)، فهذه السموات والأرض هي ملك له، وبما أن الإله قد حل في اليهود فإن اليهود لهم الحق في أية بقعة من الأرض على اعتبار أن الرب قد اختار اليهود من بين الأمم وقطع معهم عهداً، وهم بصدد الحفاظ على هذا العهد، فيرتسمون الحدود كيفما يشاءون دون اعتبار للأمم الأخرى وكأنها غير موجودة.

وعن مصير ملايين العرب الذين يعيشون داخل هذه الحدود المقدسة، يقول الحاخام

(١) د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص٢٩).

"شموئيل إلياهو" حاخام مدينة صفد: "إن كل عربي لا يعترف بملكية شعب إسرائيل لأرضه ليس له مكان هنا. ومن يعترف بملكيتنا لهذه الأرض ويقبل بسيادتنا على أرضنا يستطيع الإقامة في هذه البلاد بأي شكل كغريب"[1].

ويعود الحاخام "شموئيل إلياهو" ويغير من موقفه، حيث يرى أن الترانسفير هو الحل الأمثل لهؤلاء العرب: "يبدو أن الحل الأمثل هو الترحيل الإرادي إلى دولة عربية أخرى مثل الأردن"[2]. ويقول "موشيه بايجلين" رئيس حركة (زعامة يهودية) "إنه لا مكان للعرب في أرض إسرائيل الغربية، فعلى المدى البعيد سيؤدى بقاء العرب إلى محو الهوية اليهودية، فالترحيل الجماعي هو أمر عادل ويبدو أن التاريخ سوف يوفر لنا ظروفًا لتحقيقه"[3].

أما البروفيسور "هليل فايس"، الذي ذكر أن الصهيونية لم تقم إلا من أجل أن يصبح اليهودي يهوديًا خالصًا بعد أن يذبح أعدائه، فيقول: "الآن سوف تأتى إسرائيل وتبيد كل مدنهم بما في ذلك تلك التي في الضفة الشرقية"[4]. وهو بذلك يستعيد النصوص التوراتية التي تحدثت عن إبادة المدن وقتل النساء والأطفال (سفر العدد، إص٣٣: ٥٢، ٣١: ١٧).

ويؤيد الحاخام "زلمان ميلاميد" فكرة الترحيل الجماعي، ولكن إلى مكان آخر، حيث يقول: "هذه الفكرة، التي في إطارها ينبغي القيام بترحيل وطرد العرب إلى ما وراء نهر الأردن، هي خاطئة من أساسها، ينبغي إرسالهم إلى مكان آخر إلى دول مثل السعودية والكويت واليمن"[5]. ونلاحظ أن العراق لم تشمل هذه الدول في رأى الحاخام ميلاميد، فربما يؤيد فكرة أن الأرض الموعودة تشمل كل الضفة الغربية لنهر الفرات.

ويعلق الكاتب "يوسيف حرمونى" على فكرة الترحيل الجماعي، وطبقًا للحدود الموعودة التي تحدث عنها الحاخامات اليهود المتطرفين بقوله: "يمكن حساب عدد من سيتم ترحيلهم وفقًا للخيارات الإقليمية الرئيسية التي ذكرت من قبل الحاخامات اليهود على النحو التالي: أرض إسرائيل الغربية، سوريا ولبنان والأردن حوالي ٣٠ مليون نسمة. وإذا

---

(1) עיין: www.yeshiva.org.il

(2) יוסף הרמוני، שם.

(3) שם.

(4) שם.

(5) שם.

أضفنا مناطق من جنوب تركيا سنتجاوز الثلاثين مليونًا. وإذا أضفنا إلى القائمة ١٥ـ٢٠ مليون مصري يعيشون شرقي النيل في شمال مصر (بما في ذلك القاهرة) فإن الترحيل سيشمل عدداً يتراوح ما بين ٤٥و٥٠ مليون نسخة... هذا هو نبض حركة الاستيطان: مملكة إسرائيل الضخمة والترحيل على نطاق واسع. وإذا لم نفهم ذلك وندركه فكأننا نزر الرماد في العيون"[١].

رابعًا: الروح العدوانية في فتاوى الحاخامات اليهود:

تتسم الشخصية اليهودية، بصفة عامة، بنوع من الجدلية المتناقضة ما بين الشعور بالدونية تجاه الأمم غير اليهودية تارة، والشعور بالاستعلاء تارة أخرى. وهو أمر يحاول اليهودي أن يستعوضه باستعراض أقسى درجات العنف والقسوة تجاه (الآخر) غير اليهودي.

وفى حقيقة الأمر، كان للديانة اليهودية دور مهم في صياغة هذه الشخصية اليهودية على هذا النحو، فبعض النصوص التوراتية تحدثت عن اليهود كجماعات دونية ومستعبدة مثلما جاء في سفر الخروج الذي تحدث عن حياة العبودية لليهود في مصر، "فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف" (خروج، ١٥ : ٣)، "ومرروا حياتهم بعبودية قاسية" (خروج، ٣ : ٩)، وتبدأ الوصايا العشر بتذكير اليهود بتخليصهم من "بيت العبودية" في مصر "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية" (الخروج ٢٠ : ١). إن هذه النصوص التوراتية التي تغلغلت في النفس البشرية اليهودية وساهمت في تكوينها الشخصي والنفسي والأخلاقي تجاه التعامل مع غير اليهود على مر العصور أثرت بلا شك في طبيعة هذا السلوك اليهودي، الذي اتسم عند الشعور بالاستعلاء بممارسة العنف تجاه الآخرين، بل وربما التلذذ بتعذيبهم، وهى إشكالية معقدة، يطلق عليها علماء النفس، "التوحد في المعتدى"، أي أن العبد ينقلب سيداً ويأخذ في ممارسة دور السيد تجاه الآخرين الذين صاروا بالنسبة له عبيداً، وتتخذ سلوكياته وقتها مبادئ أكثر عنفًا وأكثر قسوة.

"لقد خلقت لديهم هذه النصوص الدينية والتاريخية إحساسًا بالمذلة الدائمة، عوضوه بعد ذلك بسلوك عدواني ووحشي تشهد على ممارسته مدوناتهم كما سجلت في قصة غزو كنعان من منظورهم الديني القومي"[٢].

([1])יוסף חרמוני، שם.

(٢) د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص٢٩).

وثمة عوامل تاريخية أخرى، أثرت أيضًا في التكوين الشخصي لليهود، تتضح في المراحل العديدة التي مرت بها الجماعات اليهودية منذ فجر التاريخ، ومروراً بمرحلة الانعزالية "الجيتوية" والانعزالية "الصهيونية" ووصولاً إلى الانعزالية "الإسرائيلية" وهي مراحل ساهمت في تأصيل الروح العدوانية لدى اليهودي، كرد فعل للأحداث التاريخية والنفسية التي مرت بها جموع اليهود عبر هذه المراحل المختلفة.

ويمكن القول، إن الإحساس بالدونية والشعور بالاستعلاء في آن واحد لدى الشخصية اليهودية، هو أمر يحدث نوعًا من الارتباك والانفصام الشخصي غالبًا ما يتولد عنه الروح العدوانية وعبادة القسوة والعنف، مثلما يؤكد على ذلك علماء علم النفس والاجتماع.

وتبقى النصوص التوراتية دومًا، هي الدافع الرئيسي والمحرك الفعلي لتشكيل السلوك البشرى اليهودي، فكما استلهمت الشخصية اليهودية مشاعر "الدونية" و"الاستعلاء" و"الاختيار" من العهد القديم، استلهمت أيضًا "الروح العدوانية" كسلوك مقدس يسمح لبنى إسرائيل باستخدام كل السبل لتحقيق النبوءات والوعود، ويمهد الطريق أمام القتل والدمار والاحتلال، حيث يمتلئ العهد القديم بكثير من النصوص التي تنبعث منها رائحة العنف والدمار، والتي يستلهمها الحاخامات اليهود في فتاواهم ويعضدونها بهذه النصوص العدوانية التي تقذف الرعب في قلوب "الجوييم" وتذكرهم "برب إسرائيل" الذي يحارب مع بنى إسرائيل ويمهد الطريق أمامهم لتحقيق مآربهم في الغزو والاحتلال: "الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك" (سفر التثنية ٧ : ١٥)، "فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر" (سفر الخروج ١٣ : ٢٩)، "الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة هو يبيدهم ويزلهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعًا كما كلمك الرب" (سفر التثنية ٩ : ٣).

ويتخذ الحاخامات اليهود من هذه النصوص التوراتية مصدراً لفتاواهم الدينية، حتى لا تقبل الشك أو المناقشة، وأحيانًا يستخدمون هذه النصوص كتوصيف خطأ للحالة المراد الإفتاء فيها. فتعليقًا على اتهام ضابط إسرائيلي برتبة نقيب أطلق النار على جثة طفلة فلسطينية عند محور فيلادلفلى، يقول الحاخام يوفال شارلو: "في هذا الصدد، وردت في الشريعة اليهودية قاعدة أساسية تقول: (من جاء ليقتلك بكر بقتله) فطالما أن هناك خطراً من جانب شخص على حياة الإنسان، فإن الشريعة تقرر قتل هذا الشخص"[1].

وينهى الحاخام شارلو حديثه بقوله: "إنه من المهم في نهاية الأمر أن نحرص على النصر

(1) www.a7.org / 23-11-2004

بشكل يتناسب مع الحدث: لقد أطلق قائد السرية النار على جثة، بينما يفجر أعداؤنا أناسًا أحياء"[1]. ولعلنا نلاحظ هنا أن هذا الحاخام يتستر وراء أقوال غامضة لا تتناسب مع هذا الحدث المشين، لقد أطلق النار على "جثة طفلة"، والتمثيل بالجثث أمر لا تقره أي ديانة سماوية، ولكنها العنصرية والسادية التي تفوح من فتاوى هؤلاء الحاخامات المتطرفين، فما الخطر الذي يمكن أن تمثله طفلة في عمر الزهور ضلت طريقها، فما كان يجب المساس بها. وبالرغم من أن مهمة رجال الدين هي قول الحقيقة وإدانة المنحرفين، فإننا نجدهم يعضدون من موقف هذا الضابط ببعض النصوص المقدسة التي لا تتفق مع طبيعة الحدث.

وتتضح الروح العدوانية أيضًا، في الفتوى التي أكد عليها الحاخام "شلومو أفنير" ونشرت في ٧/ ١٢/ ٢٠٠٤، بشأن حادثة مقتل أحد النشطاء الفلسطينيين المصابين على أيدي جنود الوحدة البحرية الإسرائيلية، فقد أفتى هذا الحاخام، بأن جنود الوحدة كان يجب عليهم قتل هذا الناشط حتى بعد أن تم القبض عليه، ويطبق الحاخام هنا "حكم الجائر" الذي يهدر دمه، ويبرر الحاخام ذلك بأن هذا الناشط مازال يرغب في مواصلة القتل، ومن المحتمل عندما يشفى من جرحه ويخرج من سجنه أن يواصل اعتدائه[2].

ويبدو هنا أن الحاخامات يلتقطون فقط النصوص الدينية المبتورة التي تدعو إلى العنف والقتل، ولا يلتفتون إلى النصوص المباشرة الأخرى، فهي تحرم أيضًا القتل مثل: "سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه. لأن الرب على صورته عمل الإنسان" (التكوين ٩: ٦)، كما أن هناك أمرًا صريحًا لشعب إسرائيل يقول: "لا تقتل".

وتعلق "شولاميت آلونى" عضو الكنيست السابق، على مثل هذه الفتاوى، التي تهدر الدماء باسم الدين بقولها: "يبدو أن التعسف جعل رجال الدين حاخامات المدارس الدينية ذات الصبغة العسكرية يتجاوزون حدود العقل والدين. فجيش الاحتلال، والجشع واستعراض القوة، والسهولة التي يمكن بها طرد الفلسطينيين من أرضهم وتحويل مدنهم إلى سجون، وردم آبارهم وإغلاق كهوف الدعاة في جبل الخليل، بما يعنى في الواقع تدمير أساس وجودهم، كل ذلك زاد من العجرفة والتكبر إلى أن أسفرا عن صدور رأى ـ هو بمثابة فتوى شرعية ـ يسمح أثناء أي عملية انتقامية ضد الفلسطينيين بقتل النساء والأطفال

---

(1) www.a7.org / 23-11-2004.

(2) יוסף עידן، עיתון "מעריב"، 7/12/2004.

وكبار السن والمواطنين العاديين، رغم أنهم آدميون خلقوا على صورة الرب ولهم الحق في الحياة طبقًا لأي قانون"[1].

وقد أشارت ألونى أيضًا، إلى أن العقيدة الدينية تتسم بكثير من الجوانب الإنسانية، وقارنت بين قوانين نوح التي ورد ذكرها في سفر التكوين (٩ : ٤ـ٧) وبين مثل هذه الفتاوى المتطرفة التي تطالب بإراقة دماء الفلسطينيين، وشددت على أن قوانين نوح هي قوانين عالمية تطبق على كل البشر، حيث حظر الإله على نوح وأبناءه سفك الدماء، وأن هذه الشرائع ملزمة لليهود وغير اليهود.

وتمجيدًا لروح العدوانية والدعوة للقتل باسم الرب، قام بعض الحاخامات الذين يعتبر بعضهم "معتدلين" بالتوقيع على فتوى تبيح للجيش الإسرائيلي أن يوجه ضرباته إلى المدنيين الأبرياء أيضًا[2]. وقد أعطت هذه الفتوى الجديدة للجيش الإسرائيلي حرية قصف المناطق المكتظة بالسكان دون الاكتراث بوجود أطفال أو شيوخ. ورغم أن الجيش الإسرائيلي يتصرف على هذا النحو، دون حاجة إلى تصريح من رجال الدين، إلا أنه بذلك قد حصل أيضًا على موافقة صريحة من المتحدثين باسم الرب.

ومثل هذه الفتاوى تأخذ شكلاً أكثر خطورة بالنسبة لجنود المدارس الدينية تلاميذ، هؤلاء الحاخامات، وهو أمر يحذر منه أحد الكتاب الإسرائيليين بقوله: "إن كافة أقوال وتبريرات أولئك الحاخامات هي التملق بعينيه، فهم يحرضون على قتل المدنيين. وإذا لم نوقفهم ولم نندد بأقوالهم بكل الطرق، فسوف نتدهور بسرعة كبيرة لنصير في مستوى سدوم وعمورة"[3]. وهى الأقوام التي أهلكها الرب قديمًا.

وردًا على التحذيرات التي يطلقها بعض اليساريين الإسرائيليين في وجه هؤلاء الحاخامات المتطرفين نشر بعض الحاخامات اليهود فتوى علنية في يوم الثلاثاء ٧/ ٩/ ٢٠٠٤ وأرسلوها إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي ووزير الدفاع ورئيس الأركان، جاء فيها: "في الحرب لا يجب التمييز بين المدنيين والعسكريين، فعندما يكون هناك خطر على جنودنا ومواطنينا لا ينبغي تطبيق الأسلوب المتبع في الأخلاق المسيحية التي تعطى حياة أعدائنا

---

(1) שולמית אלוני، עיתון הארץ، 19 9 2004، (עמ'4).

(2) עיתון ידיעות אחרונות، 19 9 2004.

(3) שם.

الأولوية عن حياتنا "[1]. وجاء في الفتوى أيضًا: "نحن الموقعون أدناه [*] ندعو الحكومة الإسرائيلية والجيش إلى العمل طبقًا لمبدأ (من جاء ليقتلك فبادر إلى قتله). . . وهذا ما أتبعه شعب إسرائيل منذ عهد موسى الذي حارب المديانيين، وهذا ما فعله يفتاح هجلعادى وشاؤول ودافيد وجميع القادة العسكريين على مر الأجيال، وهذا ما فعلته إسرائيل في حرب ١٩٦٧"[2].

وقد عقب "ميخائيل ملكيئور" زعيم حزب ميماد الديني على هذه الفتوى بقوله: "إننا نشعر بالأسف الشديد لمحاولة تجنيد التوراة، واستغلالها بصورة رخيصة ومخالفة للحقيقة لاحتياجات سياسية لأقلية متطرفة. إن التوراة والأخلاق اليهودية كانا يعارضان دائمًا وبشدة المساس بالأبرياء. كما أن الصراع لا يبرر العقاب الجماعي"[3]. وعلقت (حركة السلام الآن) اليسارية على هذه الفتوى، وأصدرت بيانًا جاء فيه: "إن هؤلاء الحاخامات يريدون أن تصبح الدولة كلها سدوم وعمورة باعتقادهم أن مفهوم طهارة السلاح عفا عليه الزمن، وأن المساس بالأبرياء أمر مشروع ومبرر"[4].

وقد حذر البعض أيضًا من تدنيس "الإنسانية" باسم الدين على أيدي هؤلاء الحاخامات المتطرفين، رغم ما يستلهمونه من نصوص توراتية لتدعيم مواقفهم وأقوالهم، فمثل هذه الفتاوى تمثل العنصرية في دولة تدعى الديمقراطية، فتقول شولاميت ألونى تعليقًا على هذه الفتاوى: "لن تؤدى مثل هذه الفتاوى، التي تقر بأن الدم اليهودي أكثر حمرة من دم غير اليهود، إلى احترام الشعب اليهودي. وللأسف، ففي الوقت الذي يتمتع فيه شعب إسرائيل بالسيادة على أرضه، ويسيطر على أقوى دولة في الشرق الأوسط، أصبحت (الإنسانية) مهددة إلى هذا الحد في نظر الكثيرين. . . على الرغم من أن هناك بعض رجال

---

(1) עיתון מעריב، 2004 9 7.

(*) من بين الموقعين على هذه الفتوى: الحاخام دوف ليئور رئيس لجنة رجال الدين في الضفة الغربية= = وقطاع غزة، وحاخام كريات أربع، والحاخام إلياكيم لفانون حاخام مستعمرة إيلون موريه، والحاخام اليعيزر ملاميد حاخام مستعمرة هاربراخا، والحاخام أمنون شوجرمان رئيس الدراسة الدينية في جسبين بالجولان والحاخام دافيد دودكوفيتش حاخام مستعمرة يتسهار، وحاخامات آخرين.

(2) שם.

(3) שם.

(4) שם.

الدين الذين أصدروا فتاوى مختلفة عن تلك التي تقضى صراحة بقتل المدنيين، أو عن تلك التي تمتدح بيجال عامير وشباب التلال[*]، وكل الذين يدمرون ويقتلون ويتسكعون في المناطق المحتلة ويطلقون النار في كل اتجاه"[1].

وتمتد خطورة هذا التعصب الديني العنصري في فتاوى هؤلاء الحاخامات إلى أنهم لا يعترفون بمشروعية التعبير عن رأى في مسألة سياسية أو عسكرية أو أخلاقية، ويتطلعون فقط إلى التأثير على السياسات الحكومية فحسب، وبما يخدم مصالحهم الشخصية تحت غطاء الشرعية الدينية، فهم يعطون لأنفسهم سلطة الإفتاء بما فيه مصلحتهم هم وأتباعهم ويتلونون طبقًا للظرف السياسي الذي تمر به الدولة. لقد صوت حزب "شاس" الديني ضد اقتراح قدم في الكنيست في الثامن وعشرين من مارس ٢٠٠٥ يدعو إلى عمل استفتاء عام قبل الانسحاب من غزة، وهو أمر يتعارض مع لنبي الحزب، وتناقض نستطيع أن ندركه حين نعلم بأنه جرى اتفاق ما، بين أعضاء الحزب ورئيس الحكومة بشأن الميزانية.

وهكذا، تبدو الروح العدوانية سمة سيكولوجية تميزت بها الشخصية اليهودية على امتداد المراحل التاريخية المختلفة لدولة إسرائيل، وهى سمة تكاد تكون يهودية خالصة، "حيث كان بن جوريون يقول (إني اعتبر يشوع بطل التوراة، إنه لم يكن مجرد قائد عسكري بل كان المرشد) وفى دير ياسين وغيرها من الأماكن كرر الإسرائيليون ما فعله يشوع بن نون عند دخوله أرض كنعان وفق ما ورد في التوراة. . . وقد علق موشيه مينوهين على هذا بقوله: (إن الاستشهاد بالتوراة والتوصل بالإرهاب لنشر الذعر، هما أسلوبان قديمان لتحرير أرض موعود بها والتخلص من سكانها الأصليين. . . وأشباه اليوم يتصرفون بنفس أسلوب يشوع في العصور القديمة، ثم يعرضون السلام بعد أن يكونوا قد أنجزوا المهمة القذرة"[2].

"وقد دعمت كتب التراث اليهودي التي جاءت بعد (العهد القديم) كالتلمود هذه القيم وتمسكت بها كذلك الفرق اليهودية المختلفة، وكانت الوسيلة أيضًا من أجل تحقيق

(*)נערי הגבעות (شباب التلال): هي تسمية لجماعة من الشباب الإسرائيليين، تسكن التلال الجديدة في الضفة الغربية ويبلغ عددهم أكثر من ٢٠٠ شخص تقريبًا ويعيشون في نمط حياتي ديني ـ قومي يختلف عن النمط الشائع في المستعمرات، ولكي يكونوا مختلفين عن الآخرين تبنوا نمطًا حياتيًا يقوم على الحياة البدائية.

(1) שולמית אלוני، עיתון הארץ، שם.

(١) د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص١٧٢).

المسيحانية لمن يؤمنون من اليهود (بالخلاص المسيحانى). وقد جعلت (الصهيونية الدينية) الحرب أساسًا من الأسس التي تقوم عليها هذه الصهيونية مستندة في ذلك إلى كل ما سبق ذكره من جذور تراثية في (العهد القديم) وتدعو للحرب وتشريعها "[١].

وكأننا أمام نصوص مقدسة وملزمة للإسرائيليين بضرورة إبادة الفلسطينيين، لأنهم من سلالة العماليق، وهى القبيلة التي تأمر التوراة اليهود بإبادتهم فهم رمز الشر. وكأننا أيضًا أمام صياغة جديدة ل "توراة جديدة" تحتوى فقط على مثل هذه النصوص المدمرة.

وبالطبع كان لهذه النصوص التوراتية التي اتخذها الحاخامات المتطرفين مصدراً لفتاوى القتل والطرد أثر كبير في تغذية الوجدان الإسرائيلي بمبررات العنف والقسوة والوحشية، وتدريسها في المدارس الإسرائيلية دون أن تحظى بمعالجة نقدية تذكر، وتأثيرها بدون شك على سلوكيات الجنود الإسرائيليين والضباط أيضًا تجاه التعامل مع (الآخر) الفلسطيني. فقد أثارت شهادات الجنود التي قام بجمعها أعضاء حركة "محطمو الصمت"[*] شكوكًا في ممارسات خطيرة ترتكب بحق الفلسطينيين خلال العمليات العسكرية في المناطق المحتلة. وثمة نظرة سريعة على بعض من هذه الشهادات التي نشرها هؤلاء الجنود على صفحات الجرائد وفى موقعهم الإلكتروني، تبين لنا مدى تأثير هذه الفتاوى على هؤلاء الجنود في ارتكاب أبشع الجرائم ضد الفلسطينيين... "حيث تتعلق إحدى الشهادات بطبيب عسكري قام بإعطاء درس في التشريح للممرضين على جثة فلسطيني... فيقول الجندي الذي عمل كرجل إسعاف، إن جثة الفلسطيني كانت ممزقة من الرصاص، وبرزت منها بعض الأعضاء الداخلية... وقد أخرج الطبيب مشرطًا وبدأ في تقطيع أجزاء من الجثة وشرح لنا على أجزاء مختلفة منها، الغشاء المحيط بالرئتين، وطبقات الجلد، والكبد وأشياء أخرى"[٢]. ويصف رقيب أول في الجيش الإسرائيلي مشاهد من العنف ارتكبها هو

---

(٢) نفس المرجع، (ص١٧٣).

(*) שוברים שתיקה (محطمو الصمت): أسست هذه الحركة في يونيو ٢٠٠٤ على يد "شموئيل نفو" وهو رقيب أول بسرية استطلاع لواء الناحال، وهى حركة تكونت من الجنود الإسرائيليين الذين أنهوا الخدمة في الجيش الإسرائيلي وقرروا رواية ما شاهدوه من فظائع ترتكب بحق الفلسطينيين أثناء أدائهم الخدمة في المناطق الفلسطينية المحتلة، وهم ليسوا من رافضي الخدمة في الجيش الإسرائيلي وتسعى على حد وصفها إلى وضع مرآة أمام المجتمع ليعرف الثمن الذي يدفعه الجندي الإسرائيلي مقابل الخدمة في المناطق المحتلة ولاسيما على المستوى الأخلاقي.

(2) www.walla.co.il/28-1-2005

وزملاؤه في منطقة دير البلح، فيقول: "أثناء كمين استطلاع روتيني، أطلق المدفعجي بأمر من القائد النار في اتجاه خزانات مياه عدد كبير من المنازل في دير البلح وكان إطلاق النيران بهدف الروع أو للتدريب على التنشين، أو بهدف تسخين المعدات أو لمجرد الرغبة فى ذلك ويا لها من كميات أخذت تنهمر على أسطح هذه المنازل"[1].

وفي نهاية سبتمبر ٢٠٠٤ نشرت جماعة (محطمو الصمت) شهادات جديدة لمجموعة من الجنود الإسرائيليين، تركزت جميعها هذه المرة على الحالات التي ارتكب فيها الجنود الضباط مخالفات متعمدة لتعليمات الجيش الإسرائيلي بالنسبة لإطلاق النار تجاه الفلسطينيين... "فتحدث جندي مدرعات في رفح عن إطلاق ١٥٠٠ عيار من مدفع رشاش بشكل عشوائي تجاه الفلسطينيين، وجندي آخر يطلق ذخيرة حية تجاه راشقي الحجارة، وجنود بالمدرعات يطلقون نيران رشاشاتهم إلى مسافة بعيدة تجاه البيوت في جنين بدون تحديد هدف معين، وضابط برتبة عقيد يفتح النار تجاه مظاهرة بصورة عنيفة في الوقت الذي كانت التعليمات تقضى باستخدام وسائل التفريق فقط"[2].

وفي إطار ما نشر من شهادات لجماعة (محطمو الصمت)؛ يحكى أحد الجنود عن إصابة فلسطيني برصاصة في رأسه، فسقط ممدداً على بعد ٥٠ متراً... "لقد ذهبنا كلنا مع قائد السرية إلى الجثة وقلبناها وكان كل من يصل إليه يطلق النار على رأس الجثة"[3].

ولم يكن هذا فقط، بل وصل الأمر إلى حد التمثيل بالجثث والتقاط الصور التذكارية مع أشلاء الجثث، "فقد حكى أحد جنود كتائب "الناحال" الدينية عن جثة فلسطيني كان مقطوع الرأس، وقد وضعت الرأس في عامود حديدي، وكأنها خيال المآتة ووضعوا سيجارة في فم الجثة... لقد كان هذا أكثر المشاهد إضحاكًا في السرية، والتقط الجميع صوراً مع هذه الرأس المقطوعة، وفى وقت لاحق تم عرض الصور للبيع بسعر رمزي. ويمضى الجندي في شهادته ويقول، لقد أصبحت صور الجنود مع جثث الناشطين الفلسطينيين في أوضاع مختلفة ظاهرة متفشية في الجيش الإسرائيلي، تحدث في كل سلاح، وفي كل سرية، وفى كل مكان يحدث فيه اتصال بين الجنود الإسرائيليين والناشطين الفلسطينيين"[4].

---

(1) www.shovrimshtika.org/2004

(2) www.walla.co.il/21-9-2004

(3) עיתון מעריב، 8.2.2005.

(4) עיתון ידיעות אחרונות، 7.11.2004.

وهكذا، تبدو مظاهر العنف والروح العدوانية في سلوكيات الشخصية اليهودية الإسرائيلية، وكأنها "جينات" من مكونات التكوين السيكولوجي والديني والتاريخي والأيديولوجي لهذه الشخصية، أي أن إيعاز هذه الروح العدوانية لم يكن فقط إلى فتاوى الحاخامات اليهود فحسب، بل أنها سمة من سمات الطابع القومي للشخصية الإسرائيلية، وهي سمة تتفاوت من شخص إلى آخر، بدليل ظهور جماعة (محطمو الصمت)، ولكنها سمة عامة تغلغلت في وجدان النفسية اليهودية نتيجة لترسبات تاريخية وأحداث مر بها اليهود عبر التاريخ، ولتعاليم صهيونية كانت الحركة الصهيونية في حاجة إليها، وقبل كل هذا نصوص توراتية، أعطت للروح العدوانية صبغة دينية شرعية استلهمها الحاخامات اليهود المتطرفين في فتاواهم، حتى صارت نمطًا جديدًا يضاف إلى أنماط السلوك العدواني في الشخصية اليهودية الإسرائيلية ويدعمه، ولكنه في نفس الوقت خطير لأنه يرتكز إلى الشرعية ويرتكب باسم الرب، ويبرر أشكال العدوان المختلفة.

خامسًا: موقف الحاخامات اليهود من الاتفاقيات المبرمة مع الفلسطينيين (خطة فك الارتباط نموذجًا):

أثارت "خطة فك الارتباط"[٠] أحادية الجانب ردود فعل واسعة داخل الساحة

(*) תוכנית ההתנתקות: تنص خطة "فك الارتباط" على الانسحاب من قطاع غزة التي بها ٢٠ مستوطنة (٨٠٠٠ مستوطن) واربع مستوطنات في شمالي الضفة الغربية وبها أربع مستوطنات (١٥٠٠ مستوطن). وفيها تلتزم إسرائيل بعملية السلام وتطمح للوصول إلى تسوية متفق عليها، على أساس مبدأ دولتين لشعبين: دولة إسرائيل كدولة الشعب اليهودي ودولة فلسطينية للشعب الفلسطيني، وذلك كجزء من تحقيق رؤى الرئيس الأمريكي "بوش". كما تؤمن إسرائيل بأن عليها العمل لتحسين الواقع الحالي. وقد استنتجت إسرائيل أنه لا يوجد هناك شريك فلسطيني يمكن التقدم معه بعملية سلام متبادلة. وعلى ضوء ذلك، بلورت خطة "فك الارتباط" الأحادية الجانب، وتقوم بعض بنود الخطة على:

(١) قطاع غزة:

١ـ ستقوم إسرائيل بإخلاء قطاع غزة، بما في ذلك المستوطنات الإسرائيلية الموجودة فيه اليوم، وستعيد انتشارها من جديد خارج القطاع، عدا عن انتشار عسكري في منطقة الحدود بين قطاع غزة ومصر (محور فيلاديلفى) حسبما سيتم تفصيله لاحقًا.

٢ـ مع استكمال الخطوة، لن يبقى في الناطق التي سيتم إخلاؤها على اليابسة في قطاع غزة أي حضور إسرائيلي ثابت لقوات الأمن ولمواطنين إسرائيليين.

٣ـ نتيجة لذلك، لن يكون هناك أي أساس للادعاء بأن قطاع غزة يعتبر منطقة محتلة.

(٢) الضفة الغربية:

١ـ ستخلى إسرائيل منطقة شمالي الضفة الغربية (غنيم، كديم، حومش، وسانور) وكل المقرات العسكرية الثابتة في هذه المنطقة، وستعيد انتشارها من جديد خارج المنطقة التي سيتم

الإسرائيلية وأحدثت دوى هائل داخل الأوساط الدينية المتشددة التي تقدس الأرض وتحرم إخلاؤها، خاصة وأنها تقضى بالانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة وأربع مستوطنات في شمال الضفة الغربية. وانهالت بعدها فتاوى الحاخامات اليهود التي تحرم الإخلاء وتهدد "شارون" والوزراء الذين صوتوا لصالح هذه الخطة بالقتل وتذكرهم بمصير "رابين"، على اعتبار "أن كل موقع استيطاني في أرض إسرائيل هو فريضة من فرائض إعمار إسرائيل ويمنع إخلاؤه منعًا باتًا". وطالب الحاخامات اليهود المتطرفين "كل جندي إسرائيلي بالتوجه إلى قائده بطلب إعفائه من كل أمر يتعلق بإخلاء المواقع الاستيطانية بسبب معتقداته الدينية والضميرية".

وقد عقدت لجنة (حاخامات المستوطنات) اجتماعًا طارئًا قررت في ختامه "رفض إخلاء المستوطنات، وحرضت الجيش الإسرائيلي على التمرد ضد قرارات الإخلاء... ودعت لجنة حاخامات المستوطنات المزيد من العائلات الوصول إلى المواقع الاستيطانية والتشبث في كل موقع يحتاج ذلك وأعلن الحاخامات أيضًا أن أية حكومة تمس بأي جزء من الاستيطان لا تستحق أي تعاون معها، وعلى كل الأحزاب الصهيونية ألا تساند حكومة كهذه"[1] لأن هذه الحكومة في مفهوم هؤلاء الحاخامات المتطرفين تنتهك أوامر الرب التي تدعو إلى إعمار أرض إسرائيل وعدم التخلي عنها والتشبث بها.

ويعلق المحلل الإسرائيلي "عوزي بنزيمان" على حملة تحريض الحاخامات اليهود المتطرفين للجنود الإسرائيليين بعدم المشاركة في إخلاء المستوطنات بقولة: "ما يحدث هو مظهر من المظاهر الصارخة التي تجتاح المجتمع الإسرائيلي في خضم غياب للحدود

إخلاؤها.

٢ـ مع استكمال هذه الخطوة لن يبقى في شمال الضفة الغربية أي تواجد ثابت لقوات الأمن ولمواطنين إسرائيليين.

٣ـ ستتيح هذه الخطوة التواصل الجغرافي الفلسطيني في شمالي الضفة الغربية.

٤ـ ستعمل إسرائيل على تحسين البنية التحتية للمواصلات في الضفة الغربية بهدف ضمان استمرارية في خطوط المواصلات للفلسطينيين في الضفة الغربية.

٥ـ هذه الخطوة ستسهل على النشاطات الاقتصادية والتجارية للفلسطينيين في الضفة الغربية.

(٣)الجدار الفاصل:

ستواصل إسرائيل بناء الجدار الأمني، بناء على قرارات الحكومة ذات الصلة. كما سيأخذ مسار الجدار بالحسبان الاعتبارات الإنسانية.

(1)עיתון ידיעות אחרונות، 15□10□2002.

الواضحة، حيث تعبر مظاهر الرفض هذه بكل وضوح عن الخلل الذي أصاب الواقع الإسرائيلي منذ ٣٧ عامًا . . . فالدولة منقسمة بين فريقين، أحدهما يؤمن بكل جوانحة بأن الاحتلال هو بؤرة السم الذي يهدد وجودنا، والآخر يعتقد بقناعة تامة بأن الانسحاب من المناطق المحتلة هو الذي سيلحق الدمار للدولة "[١].

وفي سؤال عن جدوى إعادة الأراضي المحتلة، ومدى ما ستحققه من حقن للدماء، يجيب الحاخام "ميخائيل باروم" بقوله: "في الوضع الراهن يبدو أن إعادة أو حتى التنازل عن مناطق من الأراضي المقدسة لن يقلل من معدل إراقة الدماء، بل سيزيدها . . . ونظرًا لأن واجبنا هو الاحتفاظ بالأراضي المقدسة كما ورد في تفسير الحاخام رابي موشيه بن يتسحاق (الوصية الرابعة)، فإن ما يحدث أشبه بحرب تتواصل حتى لو تساقطت الضحايا "[٢].

ويعضد هؤلاء الحاخامات فتاواهم حول خطة (فك الارتباط) بأقوال حاخامات راحلين حول ضرورة التمسك بالأرض المقدسة، ففي بيان جرى توزيعه في الضفة الغربية وقطاع غزة، تم اقتباس أقوال للحاخام الراحل "تسفي يهودا كوك، وهو الأب الروحي لحركة "جوش ايمونيم"، جاء فيه: "إن عبارة (أورثتم هذه الأرض واستعمرتموها) فيها إلزام وأمر بأن تكون هذه الأرض تحت سيطرتنا وألا نتركها في أيدي غيرنا من الأمم . . . فهي فريضة توراتية واضحة وقاطعة وملزمة لكافة اليهود بالتضحية من أجل هذه الأرض بكامل حدودها، حتى وإن كان هناك إكراه بسبب تأثيرات سياسية فإننا ملتزمون بالتضحية بأرواحنا من أجل هذه الأرض التي منحها الرب لنا "[٣].

وقد حذر الحاخام الأكبر السابق "أفراهام شابيرا"، وهو يترأس اليوم اتحاد الحاخامات من أجل أرض إسرائيل، من خطورة التنازل عن الأرض، لأنه عمل يتنافى مع الشريعة، وكتب يقول: "وفقًا للتوراة، فإن تسليم مساحات من أرضنا المقدسة للأغيار يعد خطيئة وجريمة . . . وعلى ذلك فإن أي تفكير أو فكرة أو قرار أو أي فعل لإخلاء المستوطنين وتسليم المنطقة لغير اليهود، فهو عمل يتناقض مع الشريعة ويجب منعه بكل السبل "[٤].

---

(1) עיתון הארץ، 26 12 2004.

(2) www.kipa.co.il/1-6-2004

(3) www.a7.org/17-10-2004

(4) www.fresh.co.il/27-6-2004

ولم يكتف الحاخامات اليهود بنشر فتاواهم فحسب، بل حاولوا إثارة الفتن في صفوف الجيش الإسرائيلي، وأصدروا الفتاوى الخاصة بالجنود، وشبهوا الأمر بحرب دينية وحرموا على الجنود الإسرائيليين المشاركة في الإخلاء ورفعوا شعار (الموت أفضل من الإخلاء). وفي صحيفة דרכה של התורה (طريق التوراة)، وهى صحيفة توزع في كل المعابد في شتى أنحاء إسرائيل، وجه الحاخام "يتسحاق برند" في الفتوى التي نشرتها الصحيفة، الدعوة إلى الجنود للتضحية بحياتهم من أجل عدم إخلاء النقاط الاستيطانية، لأن ذلك بمثابة "الارتداد عن الدين اليهودي"، حيث يقول: "إن سقوط النقاط الاستيطانية، هو جزء من مسيرة تؤدى في النهاية إلى سقوط القدس... إن الحرب هنا هي حرب دينية، والاستهانة بكون شعب إسرائيل شعبًا مختارًا هي استهانة بالتوراة وحرب ضدها... ولذا، فيحرم على أي جندي أن يشارك في الإخلاء، حتى ولو دخل السجن نتيجة رفضه لتنفيذ الأوامر، إذ أن من الواجب عليه أن يضحى بحياته في سبيل الأرض المقدسة التي وهبها الرب له ولذويه"[(١)].

وفي الرابع عشر من مارس ٢٠٠٥ أصدر حاخامات يهود متطرفين فتوى دينية تبيح قتل الجنود الإسرائيليين من (غير اليهود) الذين سيشاركون في تنفيذ خطة فك الارتباط، وقالت صحيفة "معاريف" الإسرائيلية: "إن حاخامات يهود أصدروا فتوى جديدة يسمح من خلالها بإطلاق النار على جنود (دروز) وغير يهود ممن سيشاركون في عملية إخلاء المستوطنات"[(٢)].

ولم يتوقف الأمر عند حد تحريض الجنود الإسرائيليين، بل وجهت التحذيرات إلى المستوطنين الذين سيتم إخلاؤهم وفق خطة "فك الارتباط"، ففي الرابع عشر من يونيو ٢٠٠٤، أصدر بعض الحاخامات اليهود فتوى "تحرم الحصول على تعويض عن إخلاء المستوطنات، وهدد حاخامات (بيكوح نفش)[(*)] بمقاطعة من سيتصرف بما يخالف رأى التوراة ويحصل على تعويضات"[(٣)]. وأصدر رجال الدين اليهود في الضفة الغربية وقطاع غزة بيانًا وصفوا فيه إخلاء المستوطنات بأنه "جريمة ضد الإنسانية"[(٤)].

---

(1) עיתון מעריב، 11 1 2004

(2) עיתון מעריב، 15 3 2004

(*) פיקוח נפש: جمعية أسسها بعض الحاخامات، وكان يتزعمها الآن الحاخام دوروكمان، ورئيسها الحاخام يوسيف جرليتسكى. وتدعوا الجمعية ظاهريًا إلى إحلال السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، ولكنها تؤيد الاستيطان وترفض إخلاء المستوطنات، وقد توجهت إلى الرئيس الأمريكي "بوش" بطلب لإجهاض خطة "فك الارتباط".

(3) עיתון הארץ، 26 9 2004

(4) שם.

وهكذا، تبدو فتاوى هؤلاء الحاخامات المتطرفين وكأنها لم تتوقف عند حد التحريم والمنع، بل تتخطى حدود المعقول، وتدعوا إلى القتل والعنف وعدم تنفيذ الأوامر العسكرية، وتهديد المستوطنين بل وتكفيرهم. ووصل الأمر إلى وصول تهديدات بالقتل إلى "شارون" والوزراء الإسرائيليين عبر البريد، يذكرونهم فيها بمصير رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق "إسحاق رابين".

وفي الثالث عشر من فبراير ٢٠٠٥، بحثت الحكومة الإسرائيلية مخاطر هذه التهديدات ومحاولات إحباط خطة شارون لفك الارتباط وأعرب عدد كبير من أعضاء الحكومة عن دهشتهم من انفلات مارد العنف والتهديد الكلامي ضد كل من لا يعارض "شارون". وأبدت الحكومة الإسرائيلية قلقها من احتمال وقوع عملية إرهابية أخرى ضد أحد المسئولين، نتيجة لزيادة الشعارات التي تكتب في المدن الكبرى هي تبارك قتل "شارون" وتعيد للذاكرة فتاوى الحاخامات حول (عقوبة) من يفرط في أجزاء من (أرض إسرائيل)، هي أودت بحياة "إسحاق رابين".

ومع ذلك، فلم تستطع الحكومة الإسرائيلية التحرك إزاء هذه التهديدات، حيث استمرت فتاوى الحاخامات اليهود ضد خطة "شارون" على أساس أنها تشكل خطراً على مستقبل إسرائيل وأنها مخالفة لشريعة الرب، ولم يكن شغلهم الشاغل إلا محاولة إحباط خطة فك الارتباط، حتى اقتراح إجراء "استفتاء شعبي" حول الانسحاب من غزة قبل بالرفض، وعارضته حركة "شاس" حين طرح في الكنيست في الثامن والعشرين من مارس ٢٠٠٥، ففي "شاس" والكتل البرلمانية الحريدية يخشون من حيث المبدأ من إجراء استفتاء على أي شيء. وهو موقف تقليدي من الكتل البرلمانية الحريدية. فهم يخشون من أن يصبح الاستفتاء على قضية سياسية قاعدة لإجراء استفتاءات حول قضايا أخرى، مثل قضية تجنيد طلبة المدارس الدينية أو فتح المحال التجارية يوم السبت. وهى أمور يعتقدون في أن تبعاتها يمكن أن تضر بمصالح الجمهور الحريدى في المستقبل.

غير أن حركة "شاس" تقف ضد إخلاء المستوطنات وترفضه بكل قوة، فها هو "عوفديا يوسيف" الزعيم الروحي للحركة يصف شارون "بالكفر ويتمنى له الموت"[١]. وصرح الحاخام "يوسيف ديان" من مستوطنة "بسجوت" بأن موت "شارون" هو الأمل الأخير لإجهاض خطة "فك الارتباط"، كما أنه على استعداد لصب اللعنات عليه"[٢].

---

(1) עיתון הארץ، 10-3-2005

(2) עיתון מעריב، 2-4-2005

وهكذا، ومع تعاظم تهديدات المتطرفين والحاخامات اليهود، هي بلغت حد الإعلان عن نيتهم في مقاومة خطة الفصل بالسلاح، وتشجيع الرافضين للسكن في المستوطنات التي سيتم إخلاؤها، والتهديد بقتل "شارون" ليلقى مصير "رابين"، يبدو أننا أمام خلفية عقائدية عنصرية مغلقة تتبناها مجموعة من الحاخامات اليهود المتطرفين، إنها عقيدة يصعب زعزعتها أو حتى مناقشتها، فالبقاء في هذه الأرض هو واجب ديني مقدس، وهو أمر يؤكد عليه الكاتب والمحلل السياسي الإسرائيلي "رونى شاكيد" بقوله: "إن صعوبة إخلاء المستوطنين من غزة تكمن في خلفيتهم العقائدية، فهم يتعاملون مع (جوش قاطيف) على أنها أرض مقدسة منحهم الرب إياها، هي وغيرها من أراضى الضفة والقطاع، وكذلك إسرائيل تعتبر بالنسبة لهم أرض مقدسة، حرام عليهم إخلاؤها"[1].

ويؤكد "شاكيد" على أن المسألة جد خطيرة، لأن تأثير الحاخامات المتطرفين على المستوطنين كبير، ويضيف قائلاً: "يقوم مجلس حاخامات الضفة وغزة بحملة تحريض وتوعية داخل المستوطنات معلنًا اليوم أنه سيواجه عملية الإخلاء بالقوة، ولو أدى ذلك لإيداع أعضائه في السجن، مستنداً إلى فتاوى أصدرها حاخامات المستوطنين تقر بأن كل مستوطن عليه أن يموت قبل أن يغادر أرضه"[2].

ووصل الأمر إلى محاولاتهم اقتحام المسجد الأقصى في العاشر من أبريل ٢٠٠٥ كمحاولة لإفشال خطة "فك الارتباط" ولإثارة الانتفاضة من جديد.

ويحمل الكاتب الإسرائيلي "ميخال كفرا" الحكومة الإسرائيلية السبب في المكانة التي احتلها الحاخامات اليهود وجماعتهم الدينية، حتى صاروا يؤثرون في المجتمع بكل قوة، ويعقدون المواقف ويصعدونها، فيقول: "هذا التمرد ليس الأول من نوعه، والحكومة تتحمل السبب، فمجرد السماح للمتدينين بعدم الخدمة في الجيش هو تدريب لهم على معصية قوانين الدولة وقراراتها، ولذا فهم يتمردون اليوم"[3].

وتشير استطلاعات الرأي في إسرائيل إلى أن العدالة في إسرائيل متأرجحة بسبب الامتيازات التي يحظى بها المتدينون من منح خاصة لمدارسهم ومؤسساتهم، إضافة إلى إعفائهم من الخدمة في الجيش، في حين يكونون هم أول من يعصى القرارات السياسية

---

(1) רוני שקד، עיתון ידיעות אחרונות، 15/3/2005

(2) שם.

(3) שם.

للحكومة، وهو أمر من شأنه أن يحدث تمرد داخلي؛ ويشير بما لا يدع مجالاً للشك، إلى أن شوكة الحاخامات اليهود باتت تؤرق قرارات الحكومة الإسرائيلية، وتعقد الموقف، خاصة وأن مسألة الحوار أو المفاوضات أو الاتفاقيات مع الطرف الآخر من الصراع هو أمر مرفوض بالنسبة لهم، ويحرمه الرب حسبما جاء في التوراة (ولا تقيم معهم عهداً). وهو فكر، أقل ما يوصف به، هو الجمود أو التيبس، لأن هؤلاء الحاخامات يبنون فتاواهم على مقتضيات لا تقبل المساومة أو التسوية.

الخاتمة:

بناء على ما سبق من محاور لهذا البحث يمكننا أن نستخلص النتائج التالية:

١ـ تعد الأرض، موضوع (الصراع) بالنسبة للحاخامات المتطرفين في إسرائيل هي المطلق، وهى القيمة التي تجب كل القيم الأخرى، بما في ذلك حياة الإنسان اليهودي، أي أن الأرض بالنسبة للحاخامات المتطرفين أقدس من حياة الإنسان، وهم بذلك يخالفون بعض النصوص التوراتية التي تدعو لإعلاء قيمة الإنسان.

٢ـ تغلق هذه الفتاوى الطريق، بصفة عامة، أمام الحوار أو التفاوض، ومن ثم تبقى بياناً متعصباً بلا مضمون أو عدل، وتشكل عائقًا أمام حلول الصراع.

٣ـ يجند الحاخامات اليهود المتطرفين بعض النصوص الدينية التوراتية لخدمة نظرية يهودية قومية ضيقة الأفق، غير متسامحة، ومدمرة، وفي نفس الوقت هي نظرية تخضع للتفسير الموروث ذي البعد الواحد.

٤ـ تعد النصوص التوراتية أرضًا خصبة بالنسبة للحاخامات اليهود بصفة عامة، يجد فيها كل الحاخامات اليهود باختلاف توجهاتهم ما يخدم وجهة نظرهم السياسية تارة، ومصالحهم الحزبية أو الشخصية تارة أخرى.

٥ـ تشكل هذه الفتاوى وجدان النفسية الإسرائيلية التي تميل بطبيعتها إلى العدوان، وتمثل في النهاية إشكالية معقدة ومتشابكة تكمن وراءها خلفية عنصرية عقائدية، تتسبب في إهدار حقوق الإنسان وكرامته في الأرض المحتلة.

٦ـ تنبع خطورة هذه الفتاوى التي تحرض على القتل والعنف في التأثير على بعض الجنود والضباط الإسرائيليين الذين يعتبرونها نوعًا من الأوامر الشرعية واجبة الطاعة والتنفيذ في الحياة اليومية بالمناطق المحتلة، بما يعطى مفهوم (حرب إلهية أبدية).

٧ـ يستغل الحاخامات اليهود حالة "التدليل السياسي" للأحزاب الدينية من قبل الأحزاب العلمانية، خاصة الليكود والعمل، ويستصدرون، أحيانًا، فتاوى تعمل على تحقيق مصالحهم وتأمين ميزانيتهم اللازمة لتمويل المشاريع الدينية وكافة النشاطات الدينية الأخرى.

٨ـ يلاحظ أن أغلب الحاخامات اليهود ممن ينتمون إلى المؤسسة الحاخامية الرسمية في إسرائيل يصدرون فتاوى تخالف النهج السياسي للحكومة، وهذا يعنى أن هذه الفتاوى قد تجئ في إطار لعبة السياسة وتوزيع الأدوار، أو أنها تستخدم كورقة ضغط ضد الحكومة لتحقيق مكاسب حزبية أو دينية.

٩ـ يستخدم بعض الحاخامات اليهود (الوعد الإلهي) بالأرض مقياسًا لدرجة إيمان الشعب اليهودي، فإيمانهم يقوم على الميثاق أو العهد الديني بين الرب وشعبه.

١٠ـ تعتمد الفتاوى اليهودية التي تدعو للعنف والقتل على نصوص توراتية بعينها، رغم أن العقيدة اليهودية تحتوى على جوانب إنسانية أيضًا، وكأننا أمام صياغة جديدة لـ"توراة جديدة" تحتوى فقط على مثل هذه النصوص المدمرة.

obeikandl.com